

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جوهر الاسلام ثقافية اسلامية جامعة تصدر بتونس
تأسست سنة 1388 هـ / 1968م

«ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون»

صدق الله العظيم

التمن للأفراد بتونس: 3.500 د بالخارج: 3.50 أورو	مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله المدير رئيس التحرير محمد صلاح الدين المستاوي العنوان 28 نهج جمال عبد الناصر تونس 1000 الهاتف: 216.71.327.130 الفاكس: 216.71.432.233 البريد الالكتروني: mestauui.s@gnet.tn الموقع الالكتروني: www.jawhar-al-islam.com الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة): 01000021110000238106 DAR EL KALAM D'EDITION ATB EL JAZIRA
الاشتراك بتونس للأفراد: 20.000 د بالخارج: 20 أورو	
الاشتراك للمؤسسات بتونس: 30.000 د بالخارج: 30 أورو	

الشركة التونسية للنشر وتنمية الرسم

sotepagaphic@yahoo.fr

ديسمبر 2020 - جانفي 2021

المحتوى

3.....	بِقلم رئيس التحرير.....	الافتتاحية:
4.....	بِقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله ..	تفسير آيات من القرآن الكريم
7.....	بِقلم العلامة عبد الله بن بية.....	الاجتهاد بتحقيق المناط فقه الواقع والمتوقع
19.....	بِقلم فضيلة الأستاذ الدكتور ابولبابة حسين.....	عقل المرأة و دينها و قوة سلطانها
22.....	بِقلم الدكتور أسعد تميم.....	ارتباط الاشعرية بمذهب الامام مالك
34.....	بِقلم الدكتور أحمد الطيب.....	وثيقة: ندين القتل البغيض للمدرس الفرنسي كما ندين الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه و سلم
37.....	بِقلم الأستاذ صالح العود.....	يا أمة جهلت تعاليم نبيها محمد صلى الله عليه و سلم
38.....	شعر نقولا فياض.....	نبي العرب الهمني بيانا
40.....	بِقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي.....	مفكرون غربيون ينصفون نبي الإسلام عليه الصلاة و السلام
44.....	بِقلم الدكتور طه عبد الرحمان.....	الكلمة السواء
46.....	بِقلم الدكتور نجم الدين خلف الله.....	نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها
49.....	بِقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي.....	في رياض السنة : حرمة دم المسلم و قيمة حياته
53.....	بِقلم الدكتور نذير أو سالم.....	توافق الامازيغية مع العربية في كثير من الالفاظ
59.....	بِقلم الأستاذ الطاهر بوسمة.....	من أعلام الزيتونة : الشيخ محمد بوسمة
62.....	بِقلم الشيخ محمدتوفيق بوديدح.....	من أعلام الزيتونة: 1- الشيخ محمد الكلبوسي -2 الشيخ محمد الدلامي
64.....	بِقلم الأستاذ محمد العزيز الساحلي.....	من أعلام الزيتونة : الشيخ حسن الورغي
65.....	بِقلم الأستاذ عبد الوهاب الجمل.....	عقبة بن نافع ولايته الأولى و الثانية
70.....	بِقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.....	مفاهيم إسلامية : رفض الجديد موت و انتحار و التفاتت على كل جديد طيش و رعونة
72.....	بِقلم الأستاذ صالح العود.....	فهرسة مؤلفاتي المطبوعة باللغة العربية
75.....	بِقلم الأستاذ محمد إبراهيم بخات.....	هذه المجلة (جوهر الإسلام منبر الفكر و حقل الكلام)
78.....	بِقلم الأستاذ بلقاسم ايت حمو.....	تاريخ العائلة الحملاوية الجهادي والعلمي
81.....	بِقلم الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي.....	خطبة العدد : في الاخذ باسباب الوقاية من الأوبئة عين التوكل على الله
84.....	بِقلم الشيخ الحبيب النفطي.....	يسألونك قل :
86.....	شيخ الازهر الدكتور أحمد الطيب: أنا لا أقبل أن يتهم الإسلام بالإرهاب

Sommaire

Le prophete lumiere primordiale

Par Mustapha Cherif2

La Zakat est un moyen de purifier le corps et l'esprit

Extrait du livre Shaarani (introduction et traduction par Abdal- wadoud gouraud.....5

Eloge de la bienveillance

Par Dr Tarik Abou Nur.....9

الافتتاحية:

التعايش في سلام ووثام هو قدر الإنسانية في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها...

رغم ما يعتري العلاقة بين الإسلام (المسلمين بتعبير ادق) والغرب من أحداث كانت ولا تزال تلقي بظلالها وتؤثر في هذه العلاقة التأثير السلبي والتي شهدت في الفترة الأخيرة اشكالا مختلفة كأعادة نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام من طرف جريدة شارلي ابدو وما تلا ذلك من ردود فعل منها اقدام شاب شيشاني على بذبح الأستاذ الذي تولى عرض هذه الصور على تلاميذه.

و(نشر الصور المسيئة وذبح الأستاذ) ادانها العقلاء من الطرفين الإسلامي والغربي باعتبار ما في ذلك من الاساءة للرموز الدينية وعدم الاحترام للاحر وما في الذبح من وحشية وانتهاك لحرمة النفس البشرية التي حرم الله قتلها.

رغم كل ذلك ورغم ما لايزال يصدر من ردود فعل متباينة لاندرى الى أي مدى ستتواصل وما يمكن ان يترتب عليها من انعكاسات سلبية فان قناعتنا ستظل راسخة لا يزعمها ما يجد من أحداث وتصرفات غير مسؤولة يقدم عليها هذا الطرف او ذاك بان العلاقة بين الإسلام (المسلمين) والغرب يمكن ان يسودها الوثام والاحترام المتبادل والتعاون على كل ما فيه خير ومصالحة الطرفين وهو كثير وكثير جدا وتلتقي في الدعوة اليه والمناداة به القيم الروحية وهو ما لايزال القادة الدينيون الكبار المستتيريون يغتمون كل مناسبة للتذكير به والالحاح عليه ويصدرون للتوعية به وجعله خريطة طريق يلتزم بها الجميع في تعاملهم مع بعضهم البعض إذ في ذلك الاجتباب للصراع الذي ما انفك المتطرفون من الجانبين يدقون طبوله غير مدركين للمخاطر التي ستعاني البشرية جمعاء اثارها المدمرة والتي ستاتي على كل المكاسب التي تحققت للإنسان في مختلف ميادين الحياة المادية والمعنوية.

ان وثيقة الاخوة الإنسانية التي امضى عليها فضيلة شيخ الازهر وقداسة بابا الفاتيكان ووثيقة مراكش حول حقوق الأقليات (الدينية) و وثيقة حلف الفضول الجديد الصادرتين عن منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه، ووثيقة كلنا اخوة الصادرة عن بابا الفاتيكان وغير ذلك من عديد البيانات الصادرة عن الهيئات والمنظمات والشخصيات التي تنشط في مجال ترسيخ قيم التسامح والتعايش في كنف السلام بين كل مكونات الاسرة البشرية بكل تنوعاتها الدينية والعرقية والاجتماعية. هذه الوثائق جميعها هي خارطة طريق لمنهج قويم في ترسيخ قيم التعايش في كنف السلام.

وستواصل مجلة جوهر الإسلام التفاعل منها مع الجهود المبذولة بنشر كل ما يرسخ هذا التوجه من دراسات وبحوث وبيانات اعتقادا راسخا منها وقناعة لاتتزعزع بان ذلك هو قدر الإنسانية في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها وذلك هو جوهر ولب رسالات السماء وما دعا اليه الرسل والانبياء عليهم السلام والذي تعبر عنه اصدق تعبير الآية الكريمة في كتاب الله العزيز (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) صدق الله العظيم.

وهذا العدد 4/3 من السنة 20 من مجلة جوهر الإسلام يجد القارئ كالمعتاد إضافة الى الأبواب القارة (من تفسير وشرح للحديث وتعريف بالاعلام وفتاوى ومتابعات وغير ذلك) بحوثا ودراسات جادة ومتنوعة يسر المجلة في نسخيتها الورقية والالكترونية ان تعمم الاستفادة بها والله سبحانه المسدد والمعين والموفق لصالح وخالص الاعمال.

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم: الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) صدق الله العظيم سورة المؤمنون الآيات 73 الى 80

تقدم بيان ما أفحم به المولى سبحانه وتعالى كل معاند اثم من حقائق دامغة تنفذ إلى ما خبأه الناس في سويداء أنفسهم من اسرار احكموا اغلاق منافذها حتى لا يعرفها سواهم، ذلك انه حصر اسباب المكابرة كلها في سبب واحد هو الدفاع عن الامتيازات الذي يكون عداوة اصلية بين الاقوياء والحق الذي يساويهم بعبيدهم وأجرائهم (بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) ثم ثنى هذه الحقيقة بحقيقة أخرى لا تقل عنها اعتبارا وهي تضارب المصالح واختلاف المشارب والاذواق الامر الذي يجعل اتباع الحق لتلك المصالح الظاهرة العارضة، والاذواق الفاسدة والمشارب المختلفة سببا لفساد السماوات والأرض ومن فيهن، ولا ينازع في هاتين الحقيقتين إلا الجاهلون والمعرضون (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) لقد مر هذا وغيره ويتفرع عليه حتما أن يلخص سبحانه وتعالى دعوة رسوله الواضحة في ابرز اهدافها واجلى مظاهرها فيقول (وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) اجل انه ليدعو الانسانية إلى المحجة البيضاء إلى الدين القيم دين الفطرة السليمة الدين الذي تشهد العقول الراجحة باستقامته ومما شأنه الحق والمنطق والسداد لانه يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر ولأنه يجعل اساس التفاضل بين الناس إنما هو الاعمال الصالحة فقط (إن اكرمكم عند الله اتقاكم) أما ما زاد عليها فاوهام وتضليل. وتخسر البشرية متى جعلت سلم القيم بينها اباء وجدودا أو اموالا ومراكز وما شابه ذلك من خزعبلات والاعيب. ولقد خسرت فعلا وما تزال تخسر إلى أن تعود إلى الاسس القويمة التي اراد الاسلام أن يبني عليها المجتمعات السليمة، وانى لها أن تظفر بضاليتها المنشودة مادامت تنازع في نقطة البدء التي هي ايمان وطيد بالله وبالיום الآخر وجميع ما جاء به الرسل الاطهار (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) كيف لا يحيد الجاحدون عن جادة الهدى ولا يتكبون طريق الرشاد ما دامت الخطوة الاولى من خطاهم قد اتجهت اتجاهها منحرفا اذ كفروا بربهم وانكروا البعث والحساب فلا يرجى لهم استصلاح ولا يعلق عليهم امل. ومن اين يا ترى ياتي الاستصلاح أو يحصل الامل وقد اغمض الكفرة الفجرة عيونهم

عن واقعهم وواقع الحياة التي يعيشونها وتلامس جميع حواسهم .
وان الله العليم بالطوايا والخبير بما فطر عليه الناس ليعلم أن نمطا من الخلائق قد درج على الانحراف الباطني وأصيب بنوع من الشذوذ الخاص يجعله يتلقى العبرة تلو العبرة والضربة تلو الاخرى ولا يريد أن يبحث عن مآتها، ولا أن يكلف نفسه مشقة التفتيش عن اسبابها . هؤلاء واضرابهم لا تتفعم شفاعة الشافعين ولا موعظة الواعظين فالويل لهم يوم يجيبهم الجبار بتلك اللطمة الساخرة (ذق انك انت العزيز الكريم) حقا الاشقياء لا يفيد معهم الصفح ولا يثمر في قلوبهم الاحسان بل ربما يزيدهم تتمرا واغراقا في الاثم (وان انت اكرمت اللئيم تمردا) (ولو رحمانهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طفيانهم يعمهون) هذا وايم الله ابداع تصوير لنفوس الاشرار الانكاس، الذين ليس لهم من الرجولة إلا الانتفاخ والانتفاش يضعفون ويتهاكون إذا وقعوا في قبضة القوي الشديد وإذا ما رحم عويلهم واستجداءهم اغرقوا في الاستئساد وكم من بغاث إستأسد وكم من جبان تتمر .

وما اقبح التكلف في كل شيء خصوصا في اولئك الضعاف للقوة والجبناء للشجاعة لان هؤلاء يتعسفون الطريق ويخطبون خبط عشواء فهم في حالة من العمه والحيرة والتهيه تجعلهم مثار ضحك واستغراب ورتاء، ونظير هذه الاية قوله جل من قائل (ولو ردوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) هذا حالهم يوم القيامة أما حالتهم في الدنيا فمشاهدة محسوسة، تصيبهم القارعة أو تحل قريبا من دارهم فينتحلون لها اسبابا وهمية اذ ينسبونوا للطبيعة تارة وللحظ أخرى ولعدم اخذ الاهبة مرة ولتخلي الانصار والمؤيدين مرات أما أن يقولوا انها بلاء وابتلاء فحاشا لرجولتهم أن تقول ذلك (ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) والغريب العجيب انهم اجبن من فراشة وافرق من نعامة، بيد انهم عموا وضموا عن الاسباب والمسببات الحقيقية فاصبحوا كمن يفر من الخطر اليه لأن جنبه انساه المفر واعماه عن الوزر ونظير هذه الآية أيضا قوله جل جلاله (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) ومهما يكن من امر فان للبداية نهاية وان للامهال اجلا لا يتعداه فلا بد إذا من أن ياخذ جبار السماء جبابرة الأرض اخذ العزيز المقتدر سواء اكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة وعندما يفتح عليهم بابا واحدا من ابواب عذاب يصيبهم ما لم يكن في حسابانهم فيصيحون في افلاس وإبلاس وخيبة آمال ولا تتفعم انذاك لهفي ولا لواني (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) وإنما الجزاء من جنس العمل ومن زرع السوء لم يحصد إلا الندامة .

وبعد أن ناقش المولى سبحانه وتعالى اولئك الكفرة الملحددين الحساب وفند مزاعمهم كلها وبين مآلهم المؤلم ومصيرهم المفجع ذكر في مقام الامتتان أو التوبيخ ما امدهم به من وسائل سمعية وبصرية وادراكية كانت تكفيهم للوصول إلى الحق لو استعملوا آلة الوعي والادراك والتبصر فقال (وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون)

هذه وسائل العلم الثلاث مرتبة حسبما تقتضيه الطبيعة البشرية حتى في اصل الوجود سمع ثم بصر ثم فؤاد، وكم في آيات الله من عجائب يكشف العلم في بعض مناسبات قليلة عن نزر يسير منها فينشده المنصفون والواعون، لقد اثبت الطب الحديث أن الطفل عندما يولد يسمع في الثلاثة الايام الاولى ولا يبصر، ثم يبصر ولا يعي ثم بعد حين من الدهر يصبح قادرا على الفهم شيئا فشيئا. وليس هذا الترتيب في الاطفال خاصة بل هو جاء مع الانسان في عموم اطوار حياته يسمع عن أشياء فيرغب في رؤيتها ثم يحكم عقله في محتوياتها اذ كل من الذين يستعملون آلة العقل والالات الابصار الباطني والظاهري وآلة السمع كذلك. وكم في قوله جلت كلماته (قليل ما تشكرون) كم فيها من معان دقيقة يدرك بعضها المجرب للعباد الخبير بمركباتهم النفسية (وقليل من عبادي الشكور) ان آلة السمع وآلة البصر وآلة الادراك ما وهبت للانسان إلا ليستعملها في ادراك الحق والعمل بمقتضاه والا كانت وسيلتها معطلة ووجودها كالعدم واصبح صاحبها كالانعام بل هو اضل سبيلا ولقد صدق الله تعالى اذ قال في هؤلاء في مقام آخر (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله) وليست هذه النعم التي ينظر اليها الانسان في نفسه هي وحدها التي تثير الانتباه وتستوجب الاعتبار، بل هي مع نعم أخرى عامة ولكنها هامة تستحق أن تجلب نحوها الانظار وما اكثرها نعم الله على عباده. وما اقسى قلوب العباد اذ تذهل عن خالقها وممدها وهي في تلك الحالة ذاهلة عن نفس وجودها ودورها في الحياة (وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون) انه هو الذي خلقنا فابعد خلقنا وصورنا فاحسن تصويرنا وانه هو الذي جعل من اختلاف اجناسنا والواننا ولهجاتنا آية لو كنا من الواعين والمنصفين. وان مراحل خلقنا ونحن اجنة في بطون امهاتنا واطفال في مهادنا وولدان في مسارج طفولتنا وشباب في احلامنا ومغانينا وكهول في عزائمنا وتصميماتنا وطموحنا وشيوخ في برامجنا ومشاريعنا وحكمتنا واكتناها ثم في طفولتنا الاخيرة الخرفة يوم يرد منا من يرد إلى أرذل العمر ان تلك المراحل المنتظمة لآية على عظمة الصانع وحكمته (وفي انفسكم أفلا تبصرون). نعم اننا لو تبصرنا وابصرنا لأدركنا أن الذي خلقنا هو الذي يميئنا وهو الذي يحيينا وهو الذي اليه نحشر يوم الجمع الاكبر فيجازي من احسن باحسانه ومن اساء باساءته (ولا يظلم ريبك احدا) وان قدرته الباهرة القاهرة لتخول له كل هذا فما الليل والنهار وتعاقبهما في نظام وانتظام وما اودع في كل واحد منهما من خصائص حيث جعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا وجعل النوم بالنهار لا يقوم مقام النوم بالليل ولو كانت المدة اطول والراحة اوفر قلت ما هذا الليل والنهار فكل ما فيهما آية ونعمة لمن اراد أن يتأمل ويستعمل مداركه العقلية للوصول الى الحقيقة (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا يعقلون) صدقت ربنا وقدست كلماتك.

الاجتهاد بتحقيق المناط:

فقه الواقع والمتوقع

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بية

رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة

القسم الثاني:

الأحكام هي ثمرة قيم وفضائل

هذه القيم لا تحتاج إلى تحقيق مناط، أما الأحكام الناشئة عنها فتحتاج إلى تحقيق المناط لأنها محفوفة بخطاب الوضع. إن الشريعة قبل أن تتحول إلى إجراءات قانونية يطبقها السلطان وما يتفرع عن ولايته. فإنها تغرس شجرة القيم التي تثمر الحكم على الأشياء وعلى الأعمال والتصرفات بالحسن والقبح وبأنها حق أو باطل أو أنها صحيحة أو باطلة، مقبولة أو مردودة؛ لتتسنى النظم والأحكام الجزئية التي تحميها وتحوطها، وترتب أسبابها وموانعها وشروطها، وبعبارة أخرى تهيئ مجال تطبيق الأحكام الجزئية. فالفرق كبير بين القيم وما تثمره من قيام الفضائل في نفوس المؤمنين والحرص على تمثلها في حياتهم الفردية والجماعية والأحكام التنظيمية التي تتعامل مع الانحراف عنها سواء تعلق الأمر بالتشريع المدني أو الجزائي.

فالقيم والفضائل ثابتة لا تحتاج إلى بيئة تطبيق ولا تفتقر إلى تبوئة لأن خطاب الوضع لا يتعلق بها إلا عند ما تكون أحكاما تفصيلية سواء كانت سلطانية كنظم الولايات والتشريعات الزجرية أو غير سلطانية؛ كعقود المعاملات والأنكحة سوى ما علق منها بالسلطان كتزويج اليتيمات. ولهذا فإن طريقة القرآن الكريم هي كالتالي:

ففي المعاملات مثلا أقيم القرآن الكريم قيمة حفظ المال وحرمة الاعتداء على الملكية (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ ذَلِك قَبْلَ أَنْ يَنْهَى عَنِ الرِّبَا (لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) وقبل أن يفصل النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ويضيف النهي عن الفرر والنجش وينزله على الواقع كبيع الحصاة وحبل الحبله والمضامين والملاقح وكلها له شروط وأسباب. فيثبت أولا المقصد العام الذي لا يتعرض له أي تخصيص.

وكذلك في التشريعات الزجرية فالقرآن الكريم يؤكد حرمة النفس البشرية (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)، (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)، (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي لَأَرْضٍ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ نَاسًا جَمِيعًا)، قبل أن يقرر (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)، وهو حكم سلطاني له شروطه.

وكذلك في المحافظة على النسل وهو مظهر لكرامة الإنسان أن يكون معروف الأصل محفوظ الأرومة؛ ولهذا لم تختلف فيه الشرائع ويكاد يكون الأمر مركزا في الفطرة والجيله الإنسانية. وكان التعبير القرآني يشير إلى ذلك بالمحافظة، (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)، (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ)، فهذا لا

يفتقر إلى سلطان.

أما الأحكام التفصيلية فجاءت في آية النور، وكذلك بالنسبة للخمر فقد جاء في القرآن الكريم بأهمية العقل، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

يميز الأصل الكلي أنه عزيمة لا تسقط أبداً أي أن المؤمن على أي مستوى كان يجب عليه أن يكون شاعراً بتلك القيمة ومستشعراً أهمية الفضيلة بقلبه وهو معنى قائم بالنفس.

أما بالنسبة للأحكام الجزائية كإيقاع العقوبة الشرعية -وهي سلطانية- فلها شروطها وضوابطها وموانعها فالصلاحية فيها للجهة السلطانية وحدها فلا تسلط للأفراد عليها لأنهم فاقدو الشرط الأول وهو شرط الصلاحية، فلو ارتكب ذلك لكان مخطئاً وخاطئاً ومتجاوزاً للحدود. وهنا تكمن أهمية تحقيق المناط.

وبالنسبة للسلطان فهو يراعي الشروط والأسباب والموانع الجلية والخفية فإن عمر لما علّق عقوبة النفي بالنسبة للبكر فلا شك أنه قد نَمى إلى علمه بأن من تطالهم العقوبة قد يتركون الملة الإسلامية سخطاً فرأى مظنة المفسدة لأنها لو تحققت في فرد فقد لا تتحقق في غيره؛ لكن المظنة جعلت عمر يرى أن المفسدة المترتبة على ذلك أعظم فأوقف ذلك. وعلق حد السرقة عام الرمادة وهذا ما اسميه بالمانع الخفي لأنه أمر لا يتعلق بشخص فيعرفه القاضي أو المفتي، ولكنه يتعلق بمجتمع فيحقق المناط فيه السلطان مما يجتمع لديه من العلم بأحوال الرعية، فهو لا يريد أن يحملهم على ما يسخطهم؛ لكن الفرق كبير بين القيم والفضائل التي هي: حلال وحرام، قبل أن تنتقل إلى الإجراء الجزري أو الحكم القضائي - فالحدود من اختصاص السلطان أو نوابه والتعزيرات من صلاحياته، وعزر الإمام لمعصية ولحق آدمي حبساً ولوماً. - كما يقول خليل-

وكذلك المحافظة على العقول توجه القرآن بالخطاب للمؤمنين بالتوقف عما كانوا يتعاطون من القمار والميسر. (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ).

وبين وجه قبح ذلك ولم يذكر عقوبة معينة وإنما كان عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يعاقب مرتكب تلك المخالفة الجريمة دون تحديد على خلاف- ثم اجتهد الصحابة في أيام عمر فحددوا لها ثمانين جلدة تنزيلاً على واقع اتساع الدولة واختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى التي احترم الإسلام خصوصياتها فتشاوروا فيها.

والفرق بين قيم التحريم والتحليل والأحكام التطبيقية من أربعة وجوه:
أولاً: أن القيم ثابتة من كل وجه من حيث القطعية، أما الأحكام فبعضها قطعي وبعضها اجتهادي.

ثانياً: أن القيم من باب الكلي وليست من باب الجزئي.

ثالثاً: أن الخروج عليها هو الخروج على النظام العام للأمة.

رابعاً: أنها عزائم لا تعتربها الرخص وعمومات لا تعرفها مخصصات خطاب الوضع

وحدوده التي تحيط الخطاب الجزئي. فاحتاج الخطاب الجزئي إلى تحقيق مناط؛ لتنزيله على محالات معينة مشخصة، طبقاً لاختلاف المحال وتقلبات الأحوال.

الواقع والمتوقع

يراد من هذا العنوان: تقديم مقارنة لتنزيل أحكام الشريعة في شمولها وعمومها وإطلاقها على بيئة معينة وفي ظرف زمني ومكاني معين أو ما سماه البعض تعريفاً للواقع بأنه: التقاء بين الزمان وبين المكان والحدث في لحظة محددة، مع ملاحظة أن تلك اللحظة هي الزمان المقصود، وأن المكان مقيد بذلك الزمان باعتبار خصوصهما وتقيدهما والذي من شأنه أن يؤثر في عموم النصوص وإطلاقها، وأن يعيد مراجعة لحظة النزول وبيئة الوحي لاستحضار أسباب النزول الظاهرة والخفية.

إلا أن الواقع قد يعني حقائق الأشياء أو الوجود الحقيقي في مقابل الوهم والخيال. والواقع اليوم أصبح يحمل قيما تلد أحكاماً ونظماً.

فما هي قيم الواقع اليوم؟

* الحقوق الإنسانية والحريات الفردية والجماعية كحرية التعبير والضمير.

* تقديس حقوق للمرأة إلى حد منح الحصص في المجالس.

* حقوق الأقليات التي أصبحت لا تحتاج دعوى اهتضام الحريات والحقوق إلى بيئات فالأقلية مصدقة ولو كانت غير محقة.

وأصبحت الدساتير تطرز بهذه الحقوق وتعزز بهذه القيم وذلك هو معيار الدستور العصري وعنوان الديمقراطية وبرهان الحداثة والمساواة في الحقوق أحياناً على حساب الواجبات.

* واقع التكنولوجيا التي غيرت أسلوب وأدوات التواصل والاتصال -الفيسبوك وتويتر ويوتوب- أعانت الفرد على الإفلات من رقابة المجتمع والتماهي مع قيم أخرى بحيث تصبح الوسائل الزجرية أمام الوضع لا تخلص منه.

* وتقنيات الجينوم البشري وما اقترح من معضلات أخلاقية إذ أتاح العلم لنفوس عطشى إلى الاكتشاف التدخل في خلايا الأجنة واقتحام شفرة النطفة الأمشاج لتعديل الجنين بزيادة الهرمونات.

* وقضايا الاستتساخ وما تتطوي عليه من مآلات لا تزال وراء أستار الغيب التي لا يعلمها إلا من يعلم الخبء في السموات والأرض.

* فالمجامع الفقهية أمام التفكيح الصناعي والتهجين وشهادة الجينات في تناكر الأزواج في حيرة. والقائمة طويلة والأفهام حسيرة في التوقعات.

أما التوقع فهو مصطلح جديد وإن كان حديثاً بالنوع قديماً بالجنس، فالمجال الذي يغطيه فقه التوقع هو مجال تغطيه الذرائع والمآلات وتغطيه أيضاً المترقبات وهي المصطلح الذي استعمله المقري واستعمله الزقاق في قوله:

وهل يراعى مترقب وقع يومئذ أم قهقرى إذا رجع

وتبنى عليه قاعدة الانعطاف وقاعدة الانكشاف.

إن فقه التوقع يعني استنباد الأحكام إلى المستقبل، قد يكون الحكم عدولا عن إذن إلى حظر، وعن حظر إلى إذن، ورفع حرج بسبب أمر يمكن أن يترتب على ممارسة الفعل المأذون فيه، أو الامتناع عن الفعل المنهي عنه.

فمحقق المناط يجب أن يكون يقظا، وعلى علم أولا بأنه ليس كل فعل مطلوب بأصله أو بطبيعته مطلوبا دائما في مآلاته وبالتالي عليه أن يوازن دائما بين المصلحة المتأدية من هذا الفعل وبين المفسدة التي قد تترتب عليه. هذا هو فقه المآلات وهو عبارة عن موازنة بين مصلحتين إحداهما أرجح، إحداهما مستقبلية والأخرى حاضرة، موازنة بين مفسدتين إحداهما مستقبلية والأخرى حاضرة، ففقه المآل هو عبارة عن توازن لكنه توازن بين حاضر وبين مستقبل، هذا الذي نسميه فقه المآل والفقيه عليه أن يعتمد على الأدوات التي بإمكانها أن تكتشف هذا المستقبل.

عليه أن يعرف هذا الواقع حتى يعرف المتوقع لأن المتوقع هو في حقيقته مآل للواقع في أحد توجهاته، لأن الذريعة عبارة عن وسيلة يتوسل بها إلى شيء، أو يتوصل بها إلى شيء.

وأهم ما في الذرائع هو عنصر الإفضاء، فإذا أفضت الوسيلة قطعاً، فلا يختلف الفقهاء في اعتبارها إذا كانت الوسيلة غالباً تؤدي إلى المتوسل إليه فهنا يختلف الشافعي وهو الذي لا يقول بالذرائع مع مالك وأحمد وهما يقولان بها، وإذا كان ذلك أكثرها فمالك يقول بالذرائع في الأكثرية وبنى عليه كما يقول القرافي- ألف مسألة في بيوع الأجال، «ومنع للثمة ما كثر قصده». -خليل-

ولكن القضية هي قضية ضبط، أن نضبط النصوص الجزئية والقواعد الكلية وأن نعرف الواقع بكل تضاريسه ومتوقعاته حتى نطبق عليه حكماً متوازناً لا هو بالمتحلل ولا هو أيضاً بالمتشدد المتزمت المتوقع وكان بين ذلك قواماً.

والتوقعات ليست أوهاماً ولا افتراضات بعيدة الوقوع ولكنها مستتدة إلى معطيات أو احتمالات راجحة. فالتوقع قد يكون بعيداً وقد يكون قريباً، وبالتالي فإن التوقع لا يعني البتة التوهم والاستباق مع أن الاستباق أيضاً كالتوقع ليس دائماً رجماً بالغيب؛ وإنما تعني أن نحصل من خلال معطيات الحاضر على معرفة توجه للمستقبل، قد يكون سلوكاً اقتصادياً ومالياً هو حركة السوق، قد يكون سلوك الفاعلين التجاريين نعرفه من خلال ما يسمى بنظرية الاحتمال أو من خلال العينات المختلفة التي نطلع عليها ومن خلال الاستقراء، والاستقراء مؤصل في الفقه، فالتوقع له أدوات هذه الأدوات قد تكون بديهية، حدس المفتي قد يعرف هذه الأدوات وقد تكون نظرية.

وسائل تحقيق المناط

وسائل تحقيق المناط التي من خلالها نتعرف على الواقع لتتزيل الأحكام عليه، وهي في حقيقتها شارحة للواقع ويمكن تسميتها بمسالك التحقيق، وقد أسماها أبو حامد الغزالي الموازين الخمسة وهي: اللغوية، والعرفية، والحسية، والعقلية، والطبيعية. وإذا اعتبرنا المصالح والمفاسد من حيث إدراكها بالعقل داخلة في العقلية. واعتبرنا

الاكتشافات العلمية راجعة إلى الطبيعية وهي العلوم الطبيعية أو طبيعة الأشياء. كان هذا الميزان حاوياً بل حاصراً لأدوات تحقيق المناط.

فالمثال بالربويات في المطعومات جنساً ونوعاً، ان ما كان طعاماً لغة تحقق فيه مناط الربا عند المعلل بالطعمية - كما يقول الغزالي - وما كان تمرًا لغة يكون نوعاً واحداً لا يجوز بيعه في مثله تفاضلاً. - كما يقول ابن قدامة - بالحس والطبيعة معا كمشاهدة العلامات البيولوجية الفاصلة بين الصغر المانع للزوم أوامر الشرع والتي أشار إليها الشارع بقوله: والصغير حتى يحتلم. والبلوغ المشار إليه بالحديث السابق، وبقوله تعالى (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ).

والعرف محقق للمناط في حالة سيولة اللفظ لعدم وجود حد من الوضع وتحديد من الشرع، وهذا في ألفاظ الشارع التي تركت مبهمة كالإنفاق على الزوجات والأقارب ذوي الإملاق، وكوصف الفقر الموجب للزكاة.

وكذلك فإن العرف اللغوي في بيئة نزول الوحي قد يكون تحقيقاً للمناط في حالة وضوح المعنى وذلك لقصر اللفظ على بعض أفراده. كما يراه أبو حنيفة في حمل حديث «الطعام بالطعام» على البر خاصة لأن ذلك الاستعمال العربي لقريش.

إن هذه الوسائل ليست على وزن واحد ولا حد متحد في مرونة تناول ودرجة المعلومة وحصول العلم وسهولة الإدراك. فمنها ما تسميته تحقيقاً للمناط فيه نوع من التجوز لأن التحقيق ضرب من المعاناة، ولا عنت في إدراك المحسوسات، فما كان مسلكه الحس ووسيلته الذوق أو اللمس كتغير الماء وكمسألة النبيذ الذي ذهب ثلثاه بالطبخ لا يحتاج إلى تعمل. ومنه ما يحتاج معرفة اللغة كمدلولات الألفاظ، ومنه ما يحتاج إلى تجربة وخبرة كما في قضايا الأعراف والعوائد بين أن تكون عامة أو خاصة، أو العرف القولي في كفايات الطلاق والأيمان، والعرف العملي في المعاطاة في التجارة.

أما المسالك العقلية في قياس درجات المصالح والمفاسد المؤثرة في العقود الجليلة، وقياس الحاجات المنزلة منزلة الضرورات لإباحة المحظورات. فهذا النوع من مسالك تحقيق المناط مسلكه عسير ومسربه دقيق في الفهم لا يدركه كل متعاط ولو كان فقيهاً في الأحكام الشرعية ما لم يكن كأبي حنيفة ممارساً.

وفي الجملة فإن الأجناس المشككة والأوصاف المعنوية عندما تكون محققة للمناط يدق فهمها ويصعب نظمها ويصبح غالب الظن أغلب مناطها ويعسر على المستنبط الاستقاء من مناطها. وذلك كالمصلحة والحاجة والمشقة والغرر والجهالة والذريعة والمثال فيكون الأمر فيها بين حد أعلى معتبر وحد أسفل عديم الأثر ووسط محل تجاذب، والآراء فيه موضع تضارب؛ فيختلف الفقهاء ويفتقر إلى الخبراء. وقد قال أبو حامد إنه ما من لفظ إلا وفيه تقابل بين طرفين، وثالث ما ليس داخلًا فيه قطعاً، وما هو داخل فيه قطعاً، وما يتمارى في دخوله وخروجه وضرب مثلاً بالطعام في الربويات.

ولهذا فإن تحقيق المناط في معظم القضايا - سواء كان في الأحكام السلطانية أم في القضايا الاجتماعية أو المشكلات الاقتصادية أو الطبية - جدير بأن يكون ناشئاً عن جهد

جماعي ومنبثقاً عن اجتهاد مجمعي.

ما هي المجالات المرشحة؟

مجال الأحكام السلطانية أو السياسية
(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ
اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ).

كيف يقوم الناس بالقسط؟

إن ضرورة سلطان يتولى القيام على مهمات ووظائف لا يمكن للأفراد أن يتعاطوها أمر معلوم من الدين بالضرورة ومسلم من العقلاء في كل الملل والنحل، سوى ما ذهب إليه ابن كيسان الأصم والقلبة من المعتزلة. لكن أهم مشكلة في الفكر المعاصر هي مسألة الدولة الدينية أو الإسلامية على وجه الخصوص.

قد أجمال إمام الحرمين معنى الإمامة ووجوب نصب الأئمة وقادة الأمة: الإمامة رئاسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا. مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الخيف والخياف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين. وفصل إمامة الاختيار والسعة وإمامة الضرورة والغلبة في كتابه «الغياثي» إلا أن إمام الحرمين يرى أن معظم ما يتعلق بالإمامة يقبل الاجتهاد لأنه عار من القطع واليقين.

وهنا أشير إلى أن الواقع المعاصر في جيراننا الغربيين هو عزل الدين عن الشأن العام السياسي رسمياً، ومع ذلك فهناك بعض الدول كالاتحاد السويسري الذي ينص دستورها على أنها دولة دينية وكنيستها هي كنيسة دولة مع ما يترتب على ذلك من التزامات الدولة تجاه المؤسسة الدينية. وفي محاضرة في جامعة لوزان في 2 فبراير 2005م ألقى مستشار فدرالي سويسري محاضرة بعنوان «هل الإله ضرورة للدولة؟»

فمسألة الدين وعلاقته بالدولة، ومسألة القيم الدينية، ومسألة القوانين الدينية، ليست متلازمة تلازم الترادف في حياة الناس طبقاً لإكراهات الزمان والمكان وأحوال المجتمعات.

فما هو مفهوم الدولة الدينية؟

يمكن أن نتصور ذلك في أربعة مستويات:

المستوى الأول: اندماج كامل بمعنى أن نظام الدولة يعتمد على النصوص الدينية، وتمارسه سلطة مفوضة من الإله، معصومة، هذا هو مفهوم الثيوقراطية. هذا أصل المفهوم الغربي وهذا لا يتصور في الإسلام إلا بوجود نبي معصوم أو على الأقل بالنسبة لأهل السنة.

المستوى الثاني: نظام يقوم على نصوص دينية يمارس السلطة فيه علماء دين لكنهم ليس لهم تفويض إلهي، فهم لا يمارسون أعمالهم باسم الإله ولا نيابة عنه، ولكنهم

يسعون ليكونوا أقرب ما يمكن لروح التعليمات الإلهية. يمثل حالهم قول عمر: هذا ما رأى عمر نافيا أن ينسب رأيه للباري جل وعلا.

المستوى الثالث: أن يكون التشريع مستمداً من النصوص الدينية، ولكن الذين يمارسون السلطة فيه ليسوا علماء دين، ولا رجال دين، بل مدنيون ملوك أو رؤساء، مع اختلاف في مرجعية الوصول إلى الحكم.

المستوى الرابع: نظام لا يكون التشريع فيه مستمداً من نصوص الدين؛ لكنه يعترف بمرجعية دينية للشعب أو للدولة، قد يستمد بعض قوانينه من الشريعة (كالأحوال الشخصية مثلاً)، أو من روح الشريعة ومقاصدها في نفس الوقت يقوم برعاية للمؤسسات الدينية كمدارس الدينية ودور العبادة، وفي مقابل ذلك فإنه يتحمل التكاليف المادية اللازمة لتشغيل المؤسسات.

خلاصة القول: إن الدولة في الإسلام هي آلة من آليات العدل وإقامة الدين، وليست دولة تيوكراسية بل مدنية بمعنى من المعاني، لكنها بالتأكيد ليست دولة علمانية، إنها دولة يكون للدين فيها مكانه ومكانته في مزاجته مع المصالح واتساع من التأويل لا يقوم عليها رجال دين ولكن رجال مدنيون بمختلف الطرق التي يصل بها الحكام إلى الحكم قد تكون بعض الطرق مفضلة بقدر ما تحقق من المصلحة والسلم الاجتماعي والاقتراب من روح الشرع ونصوصه.

إن الأصل في النظام الإسلامي أنه يقوم على البيعة والشورى وبتفسير هذين المفهومين نجد أنهما لا يتعدان في نتائجهما كثيراً عما وصلت إليه الأنظمة العقلانية مع التحفظ على بعض الممارسات التي تتم باسم الدين أو باسم الديمقراطية، فإن الديمقراطية التي يرى البعض أنها نهاية المطاف أو نهاية التاريخ قد تمارس بطريقة غير ديمقراطية حتى ولو احترمت الشكل فإن المضمون قد يكون مختلفاً وفي بعض الأحيان مأساوياً فإن أدولف هتلر وصل إلى الحكم بطرق ديمقراطية والنتائج معروفة.

إن ديمقراطية نصف المصوتين زايد واحد لا تكفي بل تحتاج إلى مقارنة أخرى لضمان السلم والوثام والاستقرار. وهما الشرطان الضروريان للاستثمار لصالح الدين والدنيا.

إن أكثر علماء المسلمين على أنه لا تلازم بين الحاكم والفقهاء وإن كان يوجد نظرياً من يلزم الحاكم بأن يكون مجتهداً، ولكن سرعان ما وقع فصل تام بين الاثنين منذ الدولة الأموية بعد الخلافة الراشدة فانفصلت طبقة الفقهاء عن طبقة الحكام؛ إلا أن الفقهاء ظلوا يمارسون السلطة القضائية وسلطة الإفتاء والتعليم.

والإشكال في العلاقة بين الدين والدولة ظل قائماً ليمنح شرعية لقول هيجل: لا يكفي أن يقول لنا الدين: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. لأنه يبقى علينا بعد ذلك أن نعلم على وجه الدقة ما هي الأشياء التي لقيصر. وإذا كان هناك إشكال بالنسبة لعصر العولمة بالنسبة للعلاقة بين الدين والدولة فإن الإشكال لن يكون حله حسب رأينا- بالدفع إلى القطيعة والحلول الحادة والرؤية الأحادية، وإنما بالبحث عن إبداع الحلول الذكية التي تحافظ على الصلات النافعة، وتقيم الموازنة السعيدة بين مستلزمات المعاصرة ومنتجاتها

الفكرية والمادية، وبين القيم الروحية وميراث النبوات والأخلاق الفاضلة والتوفيق البارع بين المتناقضات التي تتجاذب حياتنا ذلك ما نسعى إليه من خلال موضوعات أنواع السلط والعلاقة بينها: مكانة الدين، صلاحيات الحكم. والتفاصيل كثيرة.

في المجال الاجتماعي

إن قضية الأسرة قضية كبرى بالنسبة للديانات السماوية فليست فقط قيمة ولكنها ناموس من النواميس الكونية وسنة من سنن الباري جل وعلا التي لا تبديل لها، (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)، فهي آية من آيات الله ونعمة من نعمه، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً).

فبالأسرة ذكرا وأنثى مصنع الحياة ومتمتع الدنيا إذا اشيعت فيها روح المودة والرحمة والعطف والحنان؛ تلك هي المقاصد الكبرى والقيم العليا. وقد جاءت الشريعة تفصيلا للقوانين التي تحوط هذا البناء - في العلاقة بين الشريكين، وكيف تبدأ وكيف تنتهي، كيف تكون الأرباح وتقل الخسائر، كيف تتحقق المصالح وتدرأ المفسد مع مراعاة الطرف الثالث وهو الولد، والعلاقة مع المجتمع- بنظام يراعي أبعاد هذه القيمة المركزية.

إن أهم قضية يطرحها العصر مما يمكن الحوار فيه بين النصوص وبين العصر هي مشكلة المساواة؛ للوصول إلى تقارب في بعض جوانبها انطلاقا من آيات حاكمة، (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ). مع الاهتمام بكلمة المعروف المشار إليها في الآية الكريمة.

قال الشاطبي: فإن الرجل والمرأة مستويان في أصل التكليف على الجملة، ومفترقان بالتكليف اللائق بكل واحد منهما... والاختصاص في مثل هذا لا إشكال فيه».

الواقع المعاصر: فيه ما لا يتماشى مع قيم أي دين في مسألة تكوين الأسرة، وفيه ما يمكن أن يتحاور معه. فماذا عن ولاية المرأة على نفسها في النكاح؟ كما يرى الأحناف؛ هل تعتبر كل امرأة برزة لتزكي الشهود، كمذهب الأحناف. والقائمة طويلة. هل يمكن أن نصل إلى كلي في هذا انطلاقا من قاعدتي الاستقرار والعرف الزمني، ذلك هو تحقيق المناط.

في المجال الاقتصادي

في هذا المجال سأنقل حرفياً ما كتبه عن الأزمة المالية في كتابي «مقاصد المعاملات» إن التعامل في الذمم وبيع المعدوم والمضاربة على التوقعات والرهون غير المقبوضة لتملك العقارات وخلق أدوات تمويل لا تمثل مالا حقيقيا كالسندات وبطاقات الائتمان بل حتى النقود الورقية بعد فك ارتباطها بالذهب والتي لا ترتبط بإحلال نقود أو ودائع أخرى أو ثروة حقيقية فكان تسليعا للنقود وتسييلا مبالغا فيه للأصول وفوائد مركبة في جدولة الديون هو الذي أوجد هذه الأزمة، وكانت العجلة تدور بهذا الشكل وارتبط الاقتصاد الحقيقي من عمارة ومصانع وزراعة في تمويله بهذه الثروة بل ارتبطت بها حياة الناس وفي كل هزة يفضع المودع المضارب إلى جيبه لتخرج يده فارغة وليرى ثروته الربوية

تتبدد حينما يعجز المقترضون من أداء ديونهم فيصادر البنك عقاراتهم القليلة وسياراتهم وينسحب المضاربون بخفي حنين حين يفقد البنك سيولته.

وتساءلوا من المسئول عن الأزمة؟ فأجاب البعض بأنه البنك المركزي الأمريكي الذي ترك رئيسته السابق الان جرينسبان الفقاعات العقارية والمالية تتكون بلا ضوابط. لقد كان يهدف إلى النمو السريع بأي ثمن باستدراج الناس للقروض فإذان الناس فوق طاقتهم ولم تعد لهم مدخرات، كان هذا الرجل يؤمن بسياسة الانفلات المطلق التي تعني عدم التدخل مطلقاً فضعفت الرقابة انطلاقاً من مبدأ أن السوق ستكون عقلانية في سلوكها في أغلب الأحيان وبالتالي ستعدل نفسها بنفسها تلقائياً من خلال اليد الخفية.

فتمت طبقة السماسرة الذين نبتوا كالفطر فكونوا مؤسسات الإقراض الذي لم يعد حكراً على البنوك كما في أوروبا وهؤلاء السماسرة لا يهتمون إلا بالفائدة التي يرفعونها على القروض؛ دون النظر إلى قدرة المقترض المالية، فنشأت المنتجات المالية المشتقة غير المنضبطة فبعضها يعتمد على أصول قليلة وبعضها إنما يعتمد على ديون وأحياناً لا يعتمد إلا على فوارق أرباح وخيارات لا تمثل أي أصل حقيقي فأصبح الاقتصاد الحقيقي من سلع وخدمات لا يمثل إلا خمسة في المائة من الأموال، وقامت البنوك والسماسرة بخلق منتجات مالية متفجرة لتبيعها للعالم لاصطياد الربح، فالبank يجمع الودائع للأمد القصير ليقرضها للشركات والوسطاء للمدى المتوسط أو الطويل، ولكن عليه أن يحتفظ بصندوق فيه موارد تتناسب والالتزامات الجارية تجاه الزبائن ولتغطية الخسارة المحتملة، وذلك ما لم يقع بسبب استرخاء الرقابة من جهة والرغبة الجامحة في الأرباح السهلة من جهة أخرى. فشحت السيولة لعدم تحوط البنوك لمواجهة الالتزامات وطلبات الزبائن، ولتغطية هذا الوضع بدأت البنوك في البورصة تتقارض فيما بينها فبعضها مقرض والبعض مقرض وهكذا دواليك فارتفعت خسائر بعضها فأفلس. فبدأت الثقة تنهار فامتدح بنك «أ» من الإقراض لبنك «ب» خوفاً من أن يفلس، فلم تعد البنوك تقرض خوفاً من أن لا تقضى أو تقرض بفائدة مرتفعة لترغيب المودعين فيحجم المقترضون فيكون المأزق بين طرفين تتجاذب مصالحهم الفوائد إن انخفضت خسر المودع وإن ارتفعت خسر المقترض.

وهكذا تبدأ لعبة الدومينو: بنك في أمريكا يسقط فيؤدي إلى سقوط بنك في بريطانيا وشركة تنهار في نيويورك فتتهار أخرى في اليابان وأسواق إمعنة في دول نامية تابعة لما يجري دون سياسة متماسكة تميل مع رياح الإفلاس تارة والأرباح تارة أخرى. بالإضافة إلى رهون لا تتناسب في قيمتها مع الديون الموثقة بها بل أحياناً تصبح اسمية لعدم انضباط العلاقة بين الراهن والمرتهن وتعدد المرتهنين وتحويل الرهن إلى منتجات مالية متداولة.

وكتبت عليه تعليقا طويلا - هو موقف الإسلام - عن بيع الديون وعن الغرر والربا، وفي هذا البحث المختصر الخاص بتحقيق المناط سأشير إلى مذهب مالك في الغرر.

وهل بيع الدين في الذمة كبيع المسلم فيه غرر شديد لاحتمال التفليس أو الموت؟ قال مالك هو غرر مقبول بشروط خمسة تخفف الغرر وتتفي غائلة الربا، وخالفه غيره. وهكذا أجاز بيع غير الطعام قبل قبضه.

فتحقيق المناط يكون بمعيار تقدير أهل السوق وخبراء المال ومراصد المؤشرات. فالحاصل أن تحقيق المناط يتعلق بإبراز الصفة الخفية التي لا يكون ظهورها بدهياً للسامع من النص المراد تطبيقه على القضية.

وقد يكون الخفاء ناشئاً من العلاقة اللغوية أو لضرورة وجود إضافة لتحقيق معنى العلة فيه، فالنهي عن بيع الغرر مدرك لغة، والغرر جنس مشكك أشد في بعض مجاله من بعض. فبيع السمك في الماء غير المحصور في بركة هو غرر بالتأكيد فلا يختلف العلماء في تحريمه. أما بيع الحيوان الغائب الموصوف فهو غرر لكنه ليس شديداً فقد يستغني بالخبر عن المشاهدة بالنظر؛ ولهذا قال به مالك خلافاً لغيره.

فلا بد لتشخيص وتحقيق المناط من الرجوع إلى أصل هذه العقود التي ولدت وترعرت في الغرب.

ولهذا فإن النظام الرأسمالي كانت له بصماته في الإيجار الساتر للبيع حيث رجح النظام غالباً المالك وهو الطرف الأقوى على المؤجر المشتري وهو الطرف الأضعف المستهلك.

كيف نحقق المناط في العقود الجديدة؟

لقد عانت المجامع الفقهية فكانت اختلافاتها ناشئة في أحيان كثيرة عن عدم فهم طبيعة العقد ووصفه حتى أن بعض فقهاء المجمع ذهبوا إلى ديار الغرب حيث نشأت هذه العقود لتحقيق المناط ومحاولة فهم علاقة الأطراف في بطاقة الأتمان.

وربما كان مذهب مالك الذي خفف من ضوابط معلومية البيع ليجعل الخبر يقوم مقام النظر في بيع الغائب والوجود في الذمم والضمان كالوجود في العيان. ولم يجعل القبض داخلاً في ماهية البيع - كما يقول المازري وغيره - مع الإبقاء على العناصر الأساسية كوصف المبيع بالنسبة للأول والقدرة على التسليم بالنسبة للثاني. وأن تأجيل البدلين ليس على الدوام محظوراً في مسألة الاشتراء من دائم العمل والاستصناع والسلم ثلاثاً بالشرط وإلى أجل التسليم بلا شرط.

كل هذه الخصائص في مذهب مالك يمكن أن تسعف في تنظيم البورصات والنظر في المستقبلات، وتلك دعوى عريضة ولكنها تستحق أن تجرب - وبخاصة - في بحوثنا الكلية لتحقيق المناط في مجال الاقتصاد الذي تحكمه بالجملة نظريتنا آدم سميث وجون كينز تضيق أحدهما لتتسع الأخرى طبقاً للنتائج العملية لتشكلاً نوعاً من التجاذب بين الإيجاب والسلب، حتى كاد أن يصبح قانوناً ثالثاً وميزاناً عملياً لولا شره الرأسمالية الذي يريد استكشاف كل السبل. وربما ندرك - في يوم من الأيام - إن نحن أحسننا تحقيق المناط أن القانون الإسلامي - الذي يمنع الربا بمعنى نقود تلد نقوداً، الثمن مقابل الزمن، وبيع المعدوم، والتعامل في الذمم، والغرر الفاحش، مع ما يوفره مذهب مالك

من المرونة- يمكن أن يسهم في حل الأزمات كما شرحنا طرفاً منه في كتابنا «مقاصد المعاملات ومراصد الوقاعات».

* وهناك قضايا تحتاج إلى تحقيق مناط ك-1 مسألة «الضمان بجعل» التي حكا الإجماع على منعها، هل الضمان بجعل في المؤسسات المالية هو نفس الضمان بجعل في الماضي؟

* 2 - قضاء ما ترتب في الذمة في حالة التضخم بزيادة؛ هل هو من باب الزيادة في الدين؟ عندما كانت النقود ذهباً وفضة.. إلى آخر قائمة العقود الباحثة عن تحقيق مناط، وما زالت المجامع الفقهية فيها باقية على أصل المنع.

مجال الأقليات المسلمة في دول غير إسلامية:

إنه موضوع ينبغي أن يحقق فيه المناط لإيجاد فضاء من السعة ومناخ من التيسير، قد تكون خصوصيات الأقلية دينية أو نسبية «إثنية» ولهذا فإن الأكثرية تنحو في الغالب إلى تجاهل حقوق هذه الأقلية، إن لم تضايقها في وجودها المادي أو المعنوي لأنها تضيق ذرعاً بالقيم والمثل التي تمثلها تلك الأقلية، وهذه أهم مشكلة تواجهها الأقليات في المواءمة بين التمسك بقيمها والتكيف والانسجام مع محيطها.

لقد شهد التاريخ مآسي كثيرة للأقليات بسبب الخصومة بين الأقليات وبين الأكثرية ولسنا بصدد سرد تاريخي لمجازر للأقليات قد عاشها العالم وما زال يعيشها في القرن الواحد والعشرين.

إلا أنه وفي العصر الحديث حصل تطور مهم في العالم حيث أصبح نظام حقوق الإنسان وسيلة لعيش الأقليات بين ظهراي الأكثرية وبخاصة في ديار الغرب التي تبنت حقوق الإنسان وكان في الأصل وسيلة للتعايش بين أتباع الكنيستين البروتستانتية والكاثولوكية إلا أنه سمح مع الزمن بوجود أقليات إفريقية وآسيوية نشأت هذه الأقليات لأسباب شتى أهمها العلاقة الاستعمارية التي أدت إلى نزوح عمال المستعمرات إلى البلاد المستعمرة. وفي فترة من التاريخ كانت الحضارة الإسلامية الوحيدة بين الحضارات البشرية التي تنظم حقوق الأقليات في ممارسة شعائرها والتحاكم إلى محاكمها. وهكذا عاشت الأقلية القبطية في مصر 14 قرناً محمية بحماية الإسلام كما هي حال الأقلية اليهودية في المغرب.

ولقد اهتمت كثير من المعاهدات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى بحماية الأقليات كما كانت مسألة الأقليات من أهم المشكلات التي واجهت عصبة الأمم المتحدة. إن أوضاع الأقلية المسلمة في ديار غير المسلمين يمكن أن توصف بأنها أوضاع ضرورة بالمعنى العام للضرورة الذي يشمل الحاجة والضرورة بالمعنى الخاص.

ولهذا احتاجت إلى فقه خاص ولا يعني ذلك إحداث فقه جديد خارج إطار الفقه الإسلامي ومرجعياته الكتاب والسنة وما يبنى عليهما من الأدلة كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسله وسد الذرائع والعرف والاستصحاب إلى آخر قائمة الأدلة التي اعتمدها الأئمة في أقوالهم وآرائهم العديدة والمتنوعة والتي تمثل ثراء وسعة فقضايا

الأقليات قديمة بالجنس حديثة بالنوع. وهي بحاجة إلى تحقيق مناط بناء على المكان والزمان وتغيرات الأحوال.

* فالمرأة تسلم وزوجها غير مسلم هل تبين منه بناء على مذهب الجمهور، أم تبقى بناء على ما روي بأسانيد صحيحة عن بعض الصحابة.
* ومسألة اشتراء البيوت بالقروض الربوية في الغرب.

* ومسألة الدار. ومسألة المواطنة. وغيرهن من القضايا التي تفتقر إلى تحقيق المناط.

لقد حاولنا أثناء كلمتنا هذه أن نتحقق بمقامات تحقيق المناط وأن نتدرج في مدارج الاستنباط وأن نتجول في مجالات التطبيق للمطابقة بين نصوص الشريعة ومقاصدها وهي نصوص أزلية لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها- مع واقع متقلب ومتوقع مترقب. في قيمه ومجالاته ومراداته، وواقع كل أمره عجب، متسع الأرجاء مترامي الأطراف، تجوهرت فيه الأعراض، واستحال فيه إلى الحقيقة كل افتراض فصدق فيه :

على أنها الأيام قد صرن كلها *** عجائب حتى ليس فيها عجائب

حاولنا أن نقدم مقاربة ترجح الكلي على الجزئي بمسالك الاجتهاد بكل أنواعه، وإن كانت قد اصطفت تحقيق المناط إلا أنها لم تغفل أخويه. مقاربة حاولنا من خلالها أن نرجع الجزئيات على ضوء الكليات باعتبار الكلي يقارع الأزمان وهكذا فقد توقفنا في مجال التطبيق 1- ميدان السياسة: على مجالات الحكم والرياسة مع إمام الحرمين، وأشرنا إلى تصورات العلاقة بين الدولة والدين.

2- المجال الاجتماعي نبهنا على أهمية خلية الأسرة، ونوهنا لما تواجهه في العصر الحاضر.

3- المجال الاقتصادي أبرزنا جذور الأزمة المالية وأوعزنا بسلوك الطريقة المالكية في التعامل مع الديون وبيع الغائب وتأجيل الثمن قبل قبض المثلون.

4- فقه الأقليات عرضنا مواطن الضرورات والحاجات حيث تمسك الأكثرية بزمام الحكم وتضيق بخصوصيات الأقليات ذرعا، وربما اشتكت هذه فما تصيخ تلك سمعا.

وحاولنا أن نتحدث عن الواقع وجودا حقيقيا كما هو ماثلا للعيان فيتفق أو يختلف معه المتعاطي. ليس خياليا ولكنه قيم ونظم وأحداث ومعاملات أصبحت الأمة جزء منها ونحاول أن يكون فقهننا حلا لمشكلاته بدلا من أن يكون أحد إشكالاته.

اعتبرنا أن ذلك لن يكون متاحا إلا عن طريق احياء الاجتهاد والتجديد في حياة الأمة وسبر أنواع الاجتهاد وطرق الاستنباط.

فوجدنا أقربها موردا وأهداها وسيلة ومقصدا هو النوع الثالث من أنواع الاجتهاد الذي لا يختص بالمجتهد دون المقلد، ولا يستبعد نوعي الاجتهاد الآخرين: الاجتهاد في دلالات الألفاظ، والاجتهاد في معقول النصوص بأنواع العلل ومسالك التعليل؛ بل ان تحقيق المناط يشترك مع نوعي الاجتهاد، وقد اعتبره بعض الأصوليين للوشائج الحميمية والعلاقة الصميمية نوعا من قياس العلة. فنحن نحاول من خلال هذا العمل أن نراجع الجزئيات على ضوء الكليات، باعتبار الكلي وحده كفيلا بمقارعة الأزمان.

عقل المرأة ودينها وقوة سلطانها

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور/ أبوالبابة الطاهر صالح حسين.
رئيس جامعة الزيتونة بتونس . عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.
روى الإمام البخاري في جامعه الصحيح بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: «خرج رسول الله في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: .. ما رأيته من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن! قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت، لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها!..»

حدث الرسول النساء بهذا الحديث على وجه المبسطة، بمناسبة فرح، واحتفال بعيد أضحى أو فطر، فبين قوة سلطان المرأة على الرجل، وشدة تأثيرها فيه، وأسئلتها على كيانه، رغم ضعفها البدني، وما يشوب عقلها ودينها من نقص، فهي تملك القدرة على خلب عقل الرجل، والذهاب بلب الشديد من أولي الحزم والعزيمة الحادة والإرادة الصلبة. فكان ذكر الرسول النقص توطئة لإبراز الميزة الكبيرة التي تتمتع بها المرأة وهي قوتها الخالصة الأسرة لقلب الرجل.

فالحديث يبين أن نقص عقل المرأة ليس نقيصة للمرأة بل هو سر من أسرار سحرها، وقوتها، وتأثيرها. يقول الدكتور محمد سعيد البوطي: «إذا تأملت في كلام رسول الله رأيت يربط بين أمرين في شخص المرأة وحياتها، ضعف التفكير من ناحية، والسيطرة على الرجل والتحكم فيه من ناحية أخرى، وتقوم بين هذين الأمرين جدلية هي في الحقيقة سر سعادة المرأة بزوجها لقوته ورجولته، وسر سعادة الرجل بزوجه لرقتها وأنوثتها وسحرها.. ثم لا ننسى أن المرأة تبحث دائماً في الرجل:

- عن شريك جنسي لها.

- وعن حماية ورعاية لها في كنفه.

وهذا يقتضي أن تكون أضعف منه، وأن يكون هو أقوى منها بدنياً وأزيد منها فكراً، وهو ذاته الشرط الذي لا بد منه لي جعلها تهيم عليه» .

ثم إن النقص الوارد في الحديث، قد يطلق ويراد به أمران:

- إما التهاون والتقصير الذي يتلبس به المكلف عن قصد، واختيار منه كالتهاون في أداء

أوامر الله والاستهانة بإقامة حدوده، فهذا تقصير يتحمل وزره مرتكبها.

- وإما قلة التكاليف بالنسبة لغيره، وهذا النقص لا يتحمل وزره المكلف، لأنه غير مسؤول عنه.

ونقص الدين الوارد في الحديث إنما هو جرأاً تخفيف الله عن المرأة بعض التكاليف، فلم تكلف مثلاً بالصلاة أثناء الحيض والنفاس، ولا بقضائها بعد انقطاع الحيض والنفاس، دون أن ينقص ذلك من أجرها شيئاً. بل فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها مأجورة على تركها الصلاة والصوم عند تلك الأعدار الشرعية، لأنها فعلت ذلك تطبيقاً لأمر الله، فقد صلت وصامت بأمره، وانقطعت عن الصلاة والصيام بأمره، فهي في كلا الحالتين تسعى لمرضاة الله، وتطبيق

شَرَعَهُ، فوصف الرسول المرأة بهذا الواقع وهو نقصان الدين، ليس فيه أي منقصة لها، ولا مسؤوليّة عليها فيه.

إلا أن خصوم المرأة المسلمة من الملاحدة والعلمانيين الذين أدمنوا النفاق والمتاجرة بحقوق المرأة، يتسرون الحديث ويروونه مجرداً عن سياقه، ويرددونه بمعزل عن مناسبته، ويحملونه على غير محمله الصحيح، ليضرموا نار الفتنة، والعداوة للإسلام، ولإيغار صدور النساء المتفلتات، الجاهلات بتعاليم الإسلام، المتمردات على أحكامه، بدعوى أنه يمتهن المرأة، ويستتقص عقلها ودينها!!

ولا ندري كيف يستقيم هذا الحكم الأجنف الجائر مع ما حققه الإسلام للمرأة من رفعة شأن وتكريم:

1. فقد سواها بالرجل في أصل الخلق: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّسَاءِ، وقد جعلها الرسول شقيقة الرجل فقال: «إنما النساء شقائق الرجال» .

2. برأها من تهمة إغواء آدم، ومن مسؤوليّة خروجها من الجنة، بما وسوسته وزينته له من الأكل من الشجرة المحرمة عليهما، وجعلها وادم ضحيتين لوسوسة الشيطان: فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين الأعراف20.

3. حررها من مظلمة الضيق بميلادها ووجودها: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ النحل 58 . 59.

4. سواها بالرجل في التدين والإيمان، والكفر والإخلاص، والنفاق والإصلاح والإفساد، قال تعالى: وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّنَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا الفتح6.

5. وسواها بالرجل في الأعمال الكبرى كالهجرة والبيعة يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَازِلْنَ وَلَا يَأْتِينَ بِنِهَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ الممتحنة12.

6. وسواها به في المسؤوليّة الجنائيّة والقانونيّة، قال تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ المائدة38. وقال عز وجل: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين النور2، وفي الحقوق المدنيّة كالتصرف في أموالها بحريّة تامّة، واختيار زوجها..

7. وكرّمها بإثبات اسمها الشخصي واسم أبيها واسم عائلته، فقالوا: فاطمة بنت محمد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر.

8. ومن دلائل تكريم الإسلام المرأة أن أربع سور من القرآن الكريم جاءت تحمل اسم المرأة: فسورة تحمل اسم النساء، وثانية تحمل اسم مريم، وثالثة تحمل اسم المجادلة، ورابعة تحمل اسم «المتحنة». فما تتصف به المرأة من جيشان العاطفة، وما تضطر إليه من ترك الصلاة والصوم لفترات محددة ولظروف بدنيّة لا حيلة لها في دفعها، لا اعتبار له في تقرير مساواتها

بالرجل وتكميلها له، وتقرير حقوقها والحفاظ على كرامتها وإنسانيتها. وكيف تكون المرأة ناقصة عقل ودين بالمعنى الذي ذهب إليه شياطين الإلحاد، ومناقضو ما يسمي بالخبية العلمانية؟! وقد حملها الإسلام مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم بالمرء والمؤمنون عن المنكر التوبة 71، حتى أن بعض العلماء جوزوا للمرأة أن تتولى ولاية الحسبة، رغم ما تقتضيه وظيفة الحسبة من الاختلاط بجماهير الناس، وارتياح الأسواق، واقتحام مظان المنكرات.. نقرأ في ترجمة سمراء بنت نهيك الأسديّة، «أنها» أدركت رسول الله، وعمرت، وكانت تمر بالأسواق، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها». كما نقرأ في ترجمة الصحابيّة الجليلة «الشفاء بنت عبد الله القرشيّة العدويّة»، «أنها» من المبايعات، أسلمت قبل الهجرة، فهي من المهاجرات الأول.. وكانت من عقلاء النساء، وفضلاتهن.. وكان عمر يقدمها في الرأي، ويرعاها، ويفضلها، وربما ولاها شيئاً من أمر السوق».

وهنا نتوقف عند عبارة «من عقلاء النساء»، وعبارة «وكان عمر يقدمها في الرأي»، فالعقل وصحيح الرأي سمة مميّزة لهذه الصحابيّة الجليلة، وهو ما جعل عمر الفاروق يقدمها على غيرها في الرأي، عند التداول في القضايا الجليلة والمصيريّة، للأخذ فيها بالرأي السديد.

وقبل عمر الفاروق كان رسول الله قد أخذ برأي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. وكانت عاقلة حازمة. في غزوة الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، حين تباطأ الصحابة في التحلل من إحرامهم بالعمرة بالتحجر والحلق، وقد أمرهم رسول الله بذلك. بعد أن كتب العهد بينه وبين كفار قريش. فقد أشارت عليه بأن ينحرب دونه ويحلق، ولا يكلم أحداً منهم، فأخذ برأيها.. فهل كان ليستشيرها الرسول في موقف حاسم مثل هذا، إذا كانت ناقصة عقل بالمعنى الذي يريده خصوم الإسلام من الملاحدة والصليبيين والمتغربين؟!؟

إن الإسلام لا يدعو إلى المساواة المطلقة المجردة عن كل اعتبار للفروق البدنية والذهنية بين المرأة والرجل، وإنما يدعو إلى التكامل بينهما، فإذا كانت أغلبية النساء أقوى عاطفة وأرهم حساً، وأغلبية الرجال أضعف عاطفة وأقوى أجساماً وفكراً، فإن هذا لا يعد تقيصاً لأحد الطرفين وتفوقاً للآخر، إذ اقتضت حكمة الله في خلقه أن ينشئ هذه الفروق، حتى يهيئ كلا منهما لأداء وظيفته على الوجه الأكمل، فالمسألة لا تتعدى كونها تقابلاً بين طرفين يكمل أحدهما الآخر، تماماً مثلما يكمل الليل النهار، حتى تستقيم الحياة على وجه الأرض.

والواقع المعيش يثبت أن أي انحراف لهذا التقابل التكاملي بين الزوجين، يفسد الحياة العائلية، فتشقى المرأة برجل جياش العاطفة كل التفكير بارد الهمة، كما يشقى الرجل بامرأة مترجلة، باهتة العاطفة، متججرة الوجدان، مشدودة إلى اهتمامات الرجال التي كثيراً ما تكون فيها خشونة، فيفقد ما ينشده فيها من دفء العاطفة ولين المعاملة. وهي عوامل قد تفسد ما ينبغي أن يكون بين الزوجين من سكن، ومودة ورحمة.

فهذا الحديث الشريف ليس فيه ما يسعى إلى ترويجه خصوم المرأة المسلمة من الملاحدة والمتغربين، ودعاة الإباحية وغيرهم ممن اتبعوا غير سبيل المؤمنين، من استنقاص الإسلام المرأة، بدليل إثبات النبي عليه الصلاة والسلام نقص عقلها ودينها! وإنما فيه بيان لعظمة المرأة وخصائصها ومميزاتها التي تكمل مزايا الرجل وخصائصه، فتكمل بهما الحياة الزوجية، وتستقيم الحياة العائلية.

ارتباط العقيدة الأشعرية بمذهب الإمام مالك بن أنس

بقلم : الدكتور أسعد تميم - أوكرانيا -

من خلال مطالعة مجموعة من المؤلفات التي تتحدث عن انتشار العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي، لاحظنا إشكالا في عدم فهم بعض المصطلحات المهمة، التي تؤثر في منهج العمل في التأريخ للبحوث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، فإن عدم وضوح هذه المصطلحات توصل إلى نتائج سلبية لا تؤيد البحث العقدي السليم ولا تؤدي إلى الفهم الواضح لكثير من مشاكل الأمة.

1. مراجعات في المصطلحات:

وسأحاول في الصفحات التالية توضيح بعض مصطلحات الأشعرية، خصوصاً تلك التي يحاول أهل البدع استعمالها لمأرب يحاولون فيها نصره عقيدتهم التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وتحديداً: مفهوم «السلف والخلف» و«السلفية» و«أهل السنة والجماعة»، ومعنى «تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين» وماذا يقصدون ب«أمرؤها كما جاءت بلا كيف»، وماذا يقصدون بظاهر النصوص والمحكم والمتشابه والإثبات والتفويض والتأويل.

استعمل علماء الإسلام قديماً هذه المعاني، ويجري استعمالها حديثاً من قبل البعض بقوالب محرّفة تحمل في طياتها أهدافاً منهجية للحالات الشاذة التي نشأت في جسم الأمة خلال مرحلة من التاريخ، نشأت فيها مجموعة من فرق أهل البدع، تحمل أفكاراً دخيلة على عقائد الدين الحنيف، الذي كان عليه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام؛ وما تفرع عنها حتى وصلت إلى زماننا هذا بمسميات جديدة تموّه بها المقاصد ويصعب كشفها إلا على الباحث المتبصر. وكل ما نذكره هنا سنبينه في هذا المبحث بالأدلة والبراهين المعينة إن شاء الله.

1.1. معنى «تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين»:

إن أصول الاعتقاد هي التي تميز التعريف الواضح والسليم لأهل السلف، فاعتقادهم ولا شك هو اعتقاد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا مدار الأمر كله والمحور الذي يجري عليه بحثنا في هوية السلف.

فاعتقاد المسلمين أساسه وعماده، بل ركنه الأول، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الحديث الذي رواه البخاري في الجامع الصحيح ((عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قِيلَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسِ شَهَادَاتٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَالْحَجَّ وَصَوْمَ رَمَضَانَ)) الحديث (1). وأصل الاعتقاد في الشهادة الأولى تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمثيل، فهو عز وجل كما وصف نفسه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (2)، فاعتقاد الأمة أن الله تعالى لا يشبه مخلوقاته، ومخلوقات الله تعالى لا تخرج عن كونها أجساماً

1 - محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط2، دار المنهاج للنشر والتوزيع ودار طوق النجاة، بيروت، 1429هـ، ج1، ص11.

2 - سورة الشورى، آية 11.

وصفات الأجسام أو ما اصطلاحوا على تسميته جواهر وأعراض بمعنى الحجم وصفات الحجم، وإلله تعالى لا يشبه أيًا منها.

ويعود أسُّ المشكلة أنّ بين فرق أهل الأهواء والبدع التي سبق ذكرها، فرق المجسمة الذين يعتقدون أنّ الله جسم يشبه مخلوقاته بوجه من الوجوه، ثم تبادت هذه الفرق لتمثلها فرقة كبيرة تسمى الكرامية، التي وجدت طريقها إلى بعض من ينتسب لمذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو لا شك بريء عما يُنسب إليه(3).

وقد انبرى لهؤلاء بعض أساطين المذهب الحنبلي، وهو الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) الذي صنف مؤلفات في الرد عليهم منها «دفع شبهة التشبيه»(4). وامتد اعتقاد هذه الفرقة ليتبناها تنظيرًا وتأييلاً أحمد بن تيمية (ت 728هـ/1328م) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت 751هـ/1350م)، وتصدى لهما علماء أهل السنة والجماعة، منهم الإمام تقي الدين أبو بكر الحصني الدمشقي (ت 829هـ/1425م) الذي ألف في الرد عليه كتاب «دفع شبهة من شبه وتمرد» والإمام تقي الدين السبكي (ت 756هـ/1355م) الذي ألف كتاب «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل».

ويقول محمد مرتضى الزبيدي: «قال التقي السبكي «وكتاب العرش» من أقبح كتبه أي ابن تيمية ولما وقف عليه الشيخ أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ/1344م) مازال يلغنه حتى مات»(5)، أي أنه اطلع على كتاب لابن تيمية سماه «كتاب العرش»، ذكر فيه: إن الله يُقعد النبي في الآخرة على الكرسي بجنبه (6). وهذا الكلام يمجه المسلمون لأنهم على تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكان.

إن ابن تيمية انتحل تسمية «السلف» لِيُسْقِطَ عليها اعتقاد التجسيم، وليوهم عوام المسلمين أن اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى على هذا الاعتقاد، حتى يتستر وراء هذه التسمية للترويج لعقيدة التجسيم. وتسربت هذه التسمية المنحرفة والمحرّفة إلى عصرنا الراهن، بسبب فرقة ظهرت منذ نحو مائتين وثلاثين سنة بزعامة محمد بن عبد الوهاب (ت 1205هـ/1791م)، واستمر التشويش على عقائد المسلمين منذ تلك الفترة حتى عصرنا الراهن، وألّفت مئات التصانيف لترويج هذا الزائف باسم «السلف» و«السلفية»، وأسست عشرات المنظمات الإرهابية المتطرفة على هذا الاعتقاد، وصارت تعيث في الأرض ذبحًا وتقتيلًا باسم الإسلام والمسلمين، وكل الناتج من ذلك تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

ورد لدى أحد الباحثين المعاصرين في عقيدة الأشاعرة وخصوصاً عقيدة ابن أبي زيد

3 - انظر: ابن عساكر علي بن الحسن، تبين كذب المفتري فيها نسب إلى الإمام الأشعري. ط1، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1440م/2018م، ص326. قال: «ووقع بينهم الانحراف من بعضهم.. وعلى الجملة فلم تنزل في الحنابلة طائفة تغلو في السنة، وتدخل فيما لا يعينها حبا للخوف (أي الإسراع) في الفتنة، ولا عار على أحمد رحمه الله من صنعهم».

4 - عبد الرحمن ابن الجوزي، دفع شبهة التشبيه، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م، ص6. قال: «ورأيت من أصحابنا (أي الحنابلة) من تكلم في الأصول (يعني أصول الاعتقاد) بما لا يصلح.. فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب.. فحملوا الصفات على مقتضى الحسن».

5 - محمد مرتضى الزبيدي، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، 10 أجزاء، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ/1994م، ج2، ص105.

6 - عبد الله الهرري، المقالات السننية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، ط1، شركة دار المشارع، بيروت، 1428هـ/2016م، ص49 و165.

القيرواني: وهناك اتجاه شاذ لبعض أتباع المذهب الحنبلي، الذين انحرفوا بمذهب السلف ففسروه على غير ما نقل عنهم.. بإثبات ما يستلزم الشكل والتحديد، تعالى الله عن ذلك. والقائم على هذا التفسير ونصرته هو ابن تيمية ثم تلميذه ابن قيم الجوزية، ثم من اقتدى بهما في العصر الحاضر»(7).

2.1. السلف الصالح أو سلف الأمة:

السلف هم أهل القرون الثلاثة الأولى، الذين قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) الحديث(8). أي الذين هم أحياء في زمني، ثم بعد ذلك من جاء بعدهم، ثم بعد ذلك من جاء بعدهم. ويقول ابن عساکر: «ومدة القرن من الزمان مائة سنة»(9). وعبارة «السلف» استعملها علماء الإسلام، للدلالة على أهل القرون الثلاثة الأولى، التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث.

ويضم عصر السلف عدداً كبيراً من الأئمة المجتهدين، لا سيما أصحاب المذاهب الأربعة المعتمدة لأهل السنة والجماعة. وهي مذاهب الأئمة: مالك بن أنس (ت 179هـ/795م)، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت 150هـ/767م)، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ/820م)، وأحمد بن حنبل (ت 241هـ/855م). كل أولئك كانوا من أهل السلف، إضافة إلى عدد كبير من المجتهدين الذين لم تُدوّن مذاهبهم، بل توجد مسائلهم في كتب الفقهاء والأصوليين والمؤرخين وغيرهم مثل الإمام الأوزاعي (ت 157هـ/774م)، وسفيان الثوري (ت 161هـ/777م)، والليث بن سعد (ت 175هـ/791م)، وسفيان ابن عيينة (ت 198هـ/815م)، وغيرهم.

يذكر العز بن عبد السلام فيما نقله عنه تاج الدين السبكي: «والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما لا يتحاشى من إظهار الحشو.. والآخر يتستر بمذهب السلف.. ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتتزيه دون التجسيم والتشبيه، ولذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل:

وَكُلُّ يَدَّعُونَ وَصَالَ لَيْلِي
وَلَيْلِي لَا تَقْرُ لَهُمْ بِذَاكَ

ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد والتتزيه، وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع، فورب السماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع، لقد تشمر السلف للبدع لما ظهرت فقمعوها أتم القمع، وردعوا أهلها أشد الردع، فردوا على القدرية والجهمية والجبرية، وغيرهم من أهل البدع فجاهدوا في الله حق

7 - الحبيب بن طاهر، ابن أبي زيد القيرواني وعقيدته في الرسالة والجامع دراسة في المنهج والمضمون، ط1، مؤسسة المعارف للطبعة والنشر، بيروت، 2008م، صص 80-81.

8 - البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، رقم الحديث 2652، ج3، ص171.

9 - ابن عساکر، م. س. ص 298. في معرض كلامه أن أبا الحسن الأشعري كان من أهل السلف لأنه وُلد في القرن الثالث. قال: «فهو بلا شك من قرن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية».

جهاده»(10).

3.1. منهج السلف «أمروها كما جاءت بلا كيف»:

كان السلف على عقيدة التنزيه، والقاعدة عندهم في المتشابه أن يثبتوا ماجاء عن الله تعالى وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعلقون بعدها بهذه العبارة: «أمروها كما جاءت بلا كيف». هذه طريقة التفويض، أي أن يفوضوا معناها إلى الله تعالى دون البحث عن معنى لها ومن غير أن يُخرجوا النص عن ظاهره، ولكن كانوا يقولون هذه العبارة مقيّدة بكلمة «بلا كيف». وعندما يقول السلف: «بلا كيف» يقصدون بذلك منع المشابهة بين الخالق والمخلوق، يقول المناوي: ««كيف» كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس»(11). فتبين أن مراد السلف بلا كيفية: نفي الجلوس والاستقرار والحركة والأعضاء، ونحو ذلك مما هو من صفات الأجسام.

قال الإمام الترمذي في سننه: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة، مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث وتؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تُروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تُفسر ولا تُتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»(12).

وروى الحافظ البيهقي في كتاب «الاعتقاد» عن الوليد بن مسلم، قال: «سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث أي الأحاديث المتشابهة فقالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيفية»(13). ويقول البيهقي رحمه الله أيضا: «ثم المذهب الصحيح في جميع ذلك: الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكيف، وإلى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا، ومن تبعهم من المتأخرين»(14).

ويروي ابن حجر العسقلاني في فتح الباري مجموعة كبيرة من نقول العلماء من أهل السلف، كانوا يستعملون عبارة «بلا كيف» في ما يتلقونه من آيات وأحاديث متشابهة، منها النقول التالية: «أخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به إيمان والجحود به كفر»(15).

ويذكر البيهقي في تفسيره الآية الكريمة (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)(16): «الأولى في هذه الآية وما شاكلها، أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة..

10 - نفسه، ج4، ص363.

11 - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1410هـ، ص614.

12 - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، 5 أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ-1995م، ج4، ص692.

13 - أحمد بن الحسين المعروف بابي بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1981-1401هـ، ص118.

14 - أبو بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص115.

15 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13 مجلدا، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، م13، ص406.

16 - سورة البقرة، آية 210

وكان مكحول والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمروها كما جاءت بلا كيف»(17).

وأُسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم (18) فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفارق الجماعة إنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا»(19).

ويؤكد تاج الدين السبكي في الطبقات أن السلف كانوا على عقيدة التنزيه، وهم الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلموا منه تلقياً وسماعاً، فيذكر: «ولقد كان السلف من الصحابة رضى الله عنهم مستقلين بما عرفوا من الحق، وسمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم من أوصاف المعبود، وتأملوه من الأدلة المنصوبة في القرآن وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم في مسائل التوحيد، وكذلك التابعون وأتباع التابعين لقرب عهدهم من الرسول صلى الله عليه وسلم»(20).

4.1. تفسير معنى الكيف:

قال الإمام أبو المظفر الإسفرايني في كتابه «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة: «وأن تعلم أنه لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه كيف هو؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه كم هو؟ ومن لا أول له لا يقال له ممّ كان؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه أين كان؟ وقد ذكرنا من كتاب الله تعالى ما يدل على التوحيد ونفي التشبيه ونفي المكان والجهة ونفي الابتداء والأولية»(21). فتبين أن مراد السلف بلا كيفية نفي الجلوس والاستقرار والحركة والأعضاء ونحو ذلك مما هو من صفات الأجسام. ولا يقصدون أن استواءه على العرش وإتيانه له كيفية لا نعلمها نحن والله يعلمها بل المراد نفي الكيفية عنه ألبتة. وليعلم العاقل أن الجلوس كيفما كان افتراضاً أو تربعاً أو غيرهما فهو كيفية لأنه لا يخرج عن كونه من صفات الأجسام. وهكذا التحيز في المكان كيفية من كفيات الأجسام، واللون والمماسية لجسم من الأجسام كيفية، والكيفية منفية عن الله تعالى وصفاته.

5.1. احتكار المجسمة لكلمة السلف وتسمية عقيدتهم «السلفية»

وفي تفنيد أقوال من احتكر لنفسه اسم السلف، يذكر محمد عمر كامل في كتابه «كفى تفریقاً للأمة باسم السلفية»: «ولكن أبت بعض الفرق إلا أن تحتكر وصف أهل السنة والجماعة لنفسها وتخرج جمهور المسلمين منه. وهنا أتساءل: هل ورد لفظ أهل

17 - الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، 8 أجزاء، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ-1997م، ج1، ص241.
 18 - جهم بن صفوان: رأس الجهمية. كان صاحب ذكاء وجدال. وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها. انظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، 25 جزءاً، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1985م، ج11، ص26.
 19 - هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، 4 أجزاء، ط1، دار طيبة، الرياض، 1402هـ، ج3، ص432. وانظر: ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ج13، ص406.
 20 - تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، 6 أجزاء، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ-2012م، ج2، ص301.
 21 - أبو المظفر الأسفرايني طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال الحوت، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ - 1983م، ص161.

السنة والجماعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أم هو مصطلح مستحدث؟ فإذا كان مصطلحاً مستحدثاً فلا يعدو أن يكون أحد أمرين:

الأول: أن أهل السنة والجماعة هم من سمو أنفسهم بهذا الاسم.

الثاني: أن مخالفهم سموهم بهذا الاسم.

فإذا كان أهل السنة والجماعة هم من سمو أنفسهم به وأجمع العلماء على ذلك، فبأي حق يأتي اليوم من يخرجهم من هذه الفرقة؟ وهل ظل المسلمون سبعة قرون ينتظرون ابن تيمية ليعيد تصنيفهم؟ والأعجب من هذا أن من يحتكرون لفظ «أهل السنة والجماعة» لأنفسهم لو أخرجوا الأشاعرة من صفوف أهل السنة والجماعة لم يبق لهم كتاب في التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة. فهل يجوز أن يُخرج الأقل الأكثر؟» (22).

ويكشف الحبيب بن طاهر أصل ادعائهم للسلفية بقوله: «لكن ظهر بعد عصر الإمام أحمد ابن حنبل، ممن يدعي الانتساب إلى مذهبه، من أحدث في أهل السنة تشغيلاً في بعض مسائل العقيدة وادعوا نسبتها إلى السلف وإلى الإمام أحمد، وهي لا أصل لها عند السلف ولم يقبلها الخلف» (23).

ولا شك أن انتسابهم إلى السلف دعوى كاذبة ووضعت للكلمة في غير محلها.

فما يميز السلف عمّن جاء بعدهم من الخلف، أنهم كان يغلب عليهم عدم التأويل التفصيلي للآيات والأحاديث المتشابهة، علماً أن بعضاً منهم أول تأويلاً تفصيلياً. ونقل تقي الدين أبو بكر الحصني الدمشقي عبارة عن الشافعي، تلخص مسلك السلف في ذلك بقوله: «أمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله» (24).

وما كان من الآيات المتشابهات ما احتاج إلى تأويل، رُدوا معناها إلى الله تبارك وتعالى، أي فوّضوا معناها إلى الله تعالى على مراد الله عز وجل، وقيدوا ذلك بعبارة «بلا كيف»، أي من غير نسبة الأعضاء والجوارح لله تعالى، أو نسبة أي صفة من صفات المخلوقين إليه سبحانه. لذا، اشتهر أهل السلف بقولهم: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، كما بينا آنفاً، لأنهم كانوا يفهمون معنى كيف وأنه من صفات الأجسام.

6.1. سوء استعمال مصطلح السلف والوقوع في فخ المشبهة:

أما من يستعملون صفة «السلف» و«السلفية» في وقتنا الحالي فقد أغفلوا المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، وتجاوزوا ما تعارف عليه علماء الإسلام، لتحويله إلى معنى لا يوافق عليه أهل السلف أنفسهم، فمن حيث المحتوى العقدي الذي يقصده البعض من هذا الكلام، يحمل في طياته مغالطة للنصوص الشرعية نفسها، لأن من انتحل صفة «السلفية» خالف العقيدة التي كان عليها السلف، وهي عقيدة رسول الله صلى الله عليه

22 - محمد عمر كامل، كفى تفريقاً للأمة باسم السلفية، مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»، ط1، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 1424هـ/2004م، صص 17-18.

23 - الحبيب بن طاهر، م. س. ص 74.

24 - تقي الدين أبو بكر الحصني الدمشقي، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م، ص 86.

وسلم والصحابة والتابعين.

ومن المؤسف أن بعض الباحثين المعاصرين، عندما يتكلمون عن الذين شبهوا الله بخلقه أي المجسمة - يصفونهم «بالسلفية»، بل إن بعضهم أطلق القول فيما يخص معتقدتهم المنحرف بتسمية عقيدتهم «عقيدة سلف الأمة» أو «العقيدة السنية السلفية». كيف يسوغ لهم ذلك؟ أليس هذا فيه اتهام لأهل السلف بما لم يقترفوه من فظائع اعتقاد التجسيم، لأنه بكلامهم هذا يتهمون من ينزه الله تعالى، بأنهم مخالفون لسلف الأمة بالاعتقاد، وسلف الأمة كانوا الأقرب لعهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا فيه إيهام أيضاً أن اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم مشابه لاعتقاد هؤلاء المشبهة، والنبي الصادق المصدوق هو الذي علم أمتة التوحيد.

ولا بد من القول إن هذا كلام لا يدل على دقة في البحث ويدل على استعمال العبارة في غير ما تدل عليه من مصطلح معروف بين العلماء.

قام الباحث جمال علال البختي بتحقيق كتاب في العقيدة الأشعرية، وبعد أن قيد الفكر السلفي بأئمة التشبيه أمثال ابن تيمية وابن القيم، وضع من جملة عباراته كلاماً يوهم أن الإمام مالكا نفسه كان من أئمة هذا الفكر، ولا نشك بتأنا أن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب السنية المعروفة كانوا على التنزيه وليسوا على عقيدة المشبهة.

ويذكر الأستاذ البختي كلاماً عن مالكية المغرب وعلاقتهم بالفكر الأشعري نقل منه الفقرات التالية، فيقول:

1 - «... بعد موقف الرفض والمحاربة المبدئية ستتحوّل العلاقة بينهما إلى علاقة مودة وارتباط.

2 - إذ سيرتبط الفقه المالكي هذه المرة مع الكثير من الفقهاء بالاتجاه العقدي الأشعري بعدما كان مجموعهم معانقاً للاختيار السلفي من قبل.

3 - ويرجع سبب هذا الانقلاب إلى شخصية أساسية في تاريخ الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية هي شخصية أبي بكر الباقلاني، الذي استطاع بشفوفه العلمي أن يتبوأ أعلى الدرجات في الحقل الفقهي، وانتهت إليه رئاسة المالكية في وقته، فصار المنظر الأول للمالكية في العالم الإسلامي.

4- ومن هنا قام الباقلاني بممارسة تأثيره في الفقهاء المغاربة المنتقلين إلى المشرق، إذ صار لزاماً عليهم التوجه صوب بغداد- التي غدت مركز المذهب الجديد لتلقي العلم عن الإمام، ولم يجدوا بداً من احتضان آرائه العقديّة كما احتضنوا مواقفه الفقهية.

5 - وبذلك يكون المذهب المالكي سبباً حاسماً في تحويل عقيدة الكثير من مضامين الفكر السلفي ومواقفه الذي كان بالأمس معتقدتهم ومعتقد إمامهم مالك بدعوى الانتصار للمذهب الأشعري الذي سيصير مذهب الأئمة المالكية الجدد.

6 - وهكذا تضرب مالكية الباقلاني مالكية مالك، ويصبح الاتجاه الفقهي نفسه الذي كان عامل قوة وحماية للفكر العقدي السلفي في البدء، وبالأعلى عليه وسبباً في

قص أجنحته ببلاد المغرب كما قصها بصورة واضحة في المشرق على يد الإمام الباقلاني» (25).

تطوي هذه الفقرات على مجموعة من المغالطات:

1 - في العبارة الأولى التي يوردها الأستاذ البختي، وفيها أن المذهب المالكي كان محارباً ورافضاً للفكر الأشعري، نجد أن كلامه لا يثبت أمام المصادر التاريخية، التي أكدت أن المعلمين الأوائل بل الأئمة الأوائل لمذهب الإمام مالك، كانوا على اعتقاد التنزيه ولم يكونوا مشبهة ولا معتزلة ولا مرجئة ولا جهمية ولا خوارج ولا رافضة. والمقصود بذلك الأصول العقيدية عند أهل السنة والجماعة وليس ما سمّاه البعض المؤثرات الباقلانية. وابن أبي زيد القيرواني ورفيقه القابسي وتلميذهما أبو عمران الفاسي بشهادة أبي الوليد الباجي نفسه شهد أنهم على عقيدة التنزيه الأشعرية. فلا يقال أن هناك علاقة رفض وعداء ومحاربة بين مذهب مالك وعقيدة التنزيه أقصد العقيدة الأشعرية، بل إن مالكا الصغير ابن أبي زيد القيرواني عندما صنف رسالته قدمها بعقيدة التنزيه، ودفاعه عن الأشعري في كتاب «تبيين كذب المفتري» شاهد قوي، علماً أنه لم يزر المشرق. ودفاع القابسي شاهد ثان أيضاً. فعلاقة المودة والارتباط بين مذهب مالك والأشعرية لم تنقطع. ويكفي هذه العلاقة مدحاً ما ذكره تاج الدين السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» حيث مدح المالكية وأجلهم بكلمة وجيزة وهي أنه لم يتطرق إليهم تشبيه ولا تجسيم ولا اعتزال (26).

2 - أما في - العبارة الثانية - أن مجموع الفقهاء المالكية «كان معانقاً للاختيار السلفي من قبل»، فهذا فيه خلط للأمور، إذ يجدر حتى لا يحصل الوهم بين الباحثين وبين الناس على أصنافهم، أن يقال إن هناك تفصيلاً وأسلوباً في فهم الآيات والأحاديث المتشابهة بين تفويض معناها إلى الله تعالى وبين العمل على تأويل هذه النصوص، وفي الحالتين العمل جار على إخراج النص عن ظاهره في عدم اعتقاد الجسمية لله تعالى، لذلك شهر في عقيدة سلف الأمة «أمروها كما جاءت بلا كيف». بهذا التفصيل يخرج المنزه عن الوهم الذي قد يصيب البعض، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى لا يتمسك المشبهة بهذا الكلام ليذهبوا في تشويش البعد التاريخي لمسار العقيدة الأشعرية وانتشارها بالغرب الإسلامي.

3 - أما أن يسمى - في العبارة الثالثة - الانتقال إلى العقيدة الأشعرية «انقلاباً» قاده الباقلاني، هذه لا شك مغالطة كبيرة تفقد كل الأعمال والجهود والجهاد الذي قام به أهل المذهب المالكي الأوائل، لأن المصادر التاريخية تثبت أن ما حصل من انتشار للمذهب الأشعري، وعبارة أخرى للطريقة الأشعرية كان «انسياً طبيعياً» ولم يكن انقلاباً ولا طفرة ولا قفزة، فارتباط الدليل العقلي مع الدليل النقلية يصبح حاجة أساسية في وقت تنتشر

25 - جمال علال البختي، المذهب العقدي السني في الغرب الإسلامي، مقدمة تحقيق كتاب: عقيدة أبي بكر المرادي (ت489هـ/1106م)، منشورات مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقيدية الرابطة المحمدية، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2012م، ص36.

26 - وعبارة تاج الدين السبكي هي: «وهؤلاء الحنفية والشافعية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يعيد عنها إلا رعاغ من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال ورعاغ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبراً الله المالكية فلم نز مالكيًا إلا أشعري العقيدة». تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي. معيد النعم ومبيد النقم، ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1428هـ-2007م، ص63.

فيه البدع ويحصل التشويش بين العامة مما يهدد عقيدتهم. مصداق ذلك ما حصل مع أبي عمران الفاسي لما جاء إليه بعض العامة يسألونه في مسألة «هل الكافر يعرف الله» فأجابهم بالدليل العقلي المقتنع من غير عبارات فلسفية ومن غير سفسطة (28)، وهذا شاهد عن انسياب العقيدة الأشعرية لحاجة المجتمع إليها في مواجهة أهل البدع والانحراف.

4 - أما أن الفقهاء المغاربة - في العبارة الرابعة - الذين انتقلوا إلى بغداد، لأنها صارت مركزاً لتعليم المالكية بسبب وجود الباقلاني فيها، وبذلك يقعون تحت تأثيره ويملي عليهم عقيدته، بعد هذا قد يقول قائل ما الذي دفع بهؤلاء المساكين إلى هذا المكان الذي أوقعهم في هذه الشراك المنصوبة؟ أي عاقل يقبل هذا الكلام؟، وأسد بن الفرات الذي ذهب وتعلم من محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، وأبو بكر الطرطوشي الذي قصد أبا حامد الغزالي ليتلقى عنه في بيت المقدس، وابن تومرت الذي قصد الكيا الهراسي. ثم أن رؤساء الشافعية والحنفية كانوا في العراق وبلاد الشام. لماذا لم يتلق أبو إسحاق الشيرازي مذهب مالك، وكذلك عبد القاهر البغدادي التميمي والإمام أبو المعالي الجويني .. والقائمة طويلة، هذه أيضاً مغالطة، تجعل من يقرأها يشفق على الفقهاء المالكية الذين رحلوا إلى المشرق.

5 وفي العبارة الخامسة مغالطة أخرى، حين عد الباحث الفكر السلفي عقيدة الإمام مالك، الأمر لفظه صحيح لكن المضمون إن كان فكر ابن تيمية وابن قيم الجوزية فهو غير صحيح، لأن الإمام مالكا ليس على هذا الاعتقاد وكذلك كل أصحاب مذاهب أهل السنة الأخرى المعتمدة، فعقيدة مالك عقيدة تنزيه الله عن الشبيه، وهي عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم وعقيدة الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

6. أما العبارة السادسة عن ضرب مالكية الباقلاني مالكية مالك، فإنها مغالطة مركبة. إذ كيف يصير الاتجاه الفقهي نفسه الذي كان عاملاً قوة وحماية للفكر العقدي السلفي في البدء «وبالآن عليه وسبباً في قص أجنحته ببلاد المغرب». الأمر مستغرب، وفيه مغالطة لا شك.

قصارى القول إن إعادة قراءة تاريخنا وكتابته تستوجب أن تقوم على منهجية واضحة مبنية على أصول الاعتقاد السليم وليس على ما خطه ابن تيمية ومن مشى في ركبته. والإمام مالك نفسه الذي بلغته الرخصاء وبله العرق عندما سأله صاحب بدعة: (الرحمن على العرش استوى كيف استوى) ففي سؤاله عن «الكيف» في حق الله تعالى أدرك مالك بدعته، وغضب غضباً شديداً (29). أظن أن مالكا نفسه لن يرضى بهذه العبارات الراضية لعقيدة التنزيه، أي الراضية للأشعرية. لأن الأشعرية مع صنوها الماتريدية هي عقيدة الأمة المحمدية.

2. عقيدة مالك بن أنس هي عقيدة تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين:

ولا يخرج اعتقاد الإمام مالك بن أنس، والأئمة المجتهدين الأعلام من المذاهب الأربعة،

28 - انظر: عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، جزءان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج2، صص 281-282.

29 - ابن حجر العسقلاني، م. س. ج13، ص407.

وغيرهم من أهل السلف، عما أجمعت عليه الأمة من نفي الشبيه والمثيل عن الله تعالى، وكذلك فإن أبا الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) وأبا منصور الماتريدي (ت 333هـ/944م) وأبا جعفر الطحاوي (ت 321هـ/932م) كانوا من أهل السلف وما اختلفوا عما قرره مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد ابن حنبل. فكل واحد منهم كان على عقيدة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة سلف الأمة.

وفيما يلي نماذج توضح ما خلصنا إليه مما سبق، فقد ثبت أن فريقاً ممن ينتسب للإسلام يصر أن يفسر الآية (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (30) على معنى لا يليق بالله تعالى، فيفسر أصحابه «استوى» بمعنى «جلس»، وكل ذي فهم يعلم أن الجلوس من لوازم الجسمية، وهذا يستحيل على الله، ويكذب آية (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (31)، لأن الذي يجلس له أمثال لا تحصى من المخلوقات ذوات العقل وغير ذوات العقل.

وانقسم علماء «أهل السنة والجماعة» في تفسير هذه الآية إلى فريقين: فريق فوّض معناها إلى الله تعالى وقيده بعبارة «من غير كيف»، لأنه لا شبيه له تعالى، وفريق آخر فسرها بإعطاء معنى يناسب لغة العرب، ولا يخرج عن تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين في تفسيرها. أما الذين فسروا هذه الكلمة بجلوس واستقر وقعد فهؤلاء من الشذاذ الذين خالفوا هذين الفريقين.

ويلخص أبو بكر بن العربي في «عارضه الأحوزي» ذلك بقوله: «والذي يجب ان يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها ولا حدث له جهة منها ولا كان له مكان فيها، فانه لا يحول ولا يزول قدوس لا يتغير ولا يستحيل. وللإستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو اذا كان الإستواء بمعنى التمكن أو الإستقرار أو الإتصال أو المحاذاة، فإن شيئاً من ذلك لا يجوز على البارئ تعالى ولا يضرب له الأمثال به في المخلوقات.. فتحصل لك من كلام إمام المسلمين مالك أن الإستواء معلوم، وان ما يجوز على الله غير متعين، وما يستحيل عليه هو منزعه عنه، وتعين المراد بما لا يجوز عليه لا فائدة لك فيه، اذ قد حصل لك التوحيد والإيمان بنفي التشبيه والمحال على الله سبحانه وتعالى فلا يلزمك سواه» (32).

أخرج البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: «كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (33) كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه ثم علاه الرخصاء (34)، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به أن يخرج» (35).

30 - سورة طه، آية 5.

31 - سورة الشورى، آية 11.

32 - محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المعروف بأبي بكر بن العربي، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، 13 جزءاً، طاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م-1418هـ، ج2، صص199-200.

33 - سورة طه، آية 5.

34 - الرخصاء: قيل هو الحمى بعرق، أو عرق يفسل الجلد كثرة، أي لكثرتة، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرضى. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المعروف بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج18، ص343. باب (رخص).

35 - أحمد بن الحسين البيهقي، الاعتقاد والهداية، ص116.

ويفسر ابن اللبان قول مالك «كيف غير معقول»: أي «كيف» من صفات الحوادث، وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى يناقض ما يقتضيه العقل، فيجزم بنفسه عن الله تعالى، وقوله: «والاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، «والإيمان به» على الوجه اللائق به تعالى «واجب» لأنه من الإيمان بالله وبكتبه (36). وفي رواية في فتح الباري، «فأطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كما وصِفَ نفسه، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوعٌ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرجل» (37).

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفاً، أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه»، وذلك لأن الرجل سأله بقوله كيف استواؤه، ولو كان الذي حصل مجرد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعتراض عليه (38).

عقب الشيخ سلامة القضاعي العزامي (39) (المتوفى 1376هـ / 1956م) عن قول مالك لذاك الرجل «صاحب بدعة»: «لأن سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي، الذي هو من قبيل تمكّن جسم على جسم واستقراره عليه، وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار فسأل عنها، وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة» (40).

فنفي كيف عن الله تعالى أي الهيئة وكل ما كان من صفات الخلق، كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وما شابه ذلك، محل اتفاق بين علماء أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً.

وقد قال الإمام المحدث الورع أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت 699هـ / 1299م) في كتابه «بهجة النفوس»: «وقد قال الإمام مالك رحمه الله: كل ما يقع في القلب فالله بخلاف ذلك، لأن كل ما يقع في القلب إنما هو خلق من خلق الله، فكيف يشبه الخالق المخلوق» (41).

والنتيجة أن عقيدة الإمام مالك بن أنس هي عقيدة السلف، وعقيدة أبي الحسن الأشعري هي عقيدة السلف نفسها أيضاً، فمن باب الانسياب الطبيعي والانسجام باستمرار العلوم بتلقي الخلف عن السلف، أن تكون عقائد العلماء الذين حافظوا على دين أهل السنة والجماعة في القيروان وإفريقية وسائر بلاد المغرب في وجه أهل البدع متمسكين بمذهب مالك، وعلى ذلك فإن التأسيس لانتشار الأشعرية في الغرب الإسلامي، بدأ قبل نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. أي في عهد الصحابة والتابعين

36 - محمد مرتضى الزبيدي، م. س. ج. 2، ص 82.

37 - ابن حجر العسقلاني، م. س. ج. 13، ص 407.

38 - سليم علوان، تفسير أولي النهى لقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)، ط 4، شركة دار المشاريع، بيروت، 2012م، صص 63-64.

39 - وهو من علماء الأزهري.

40 - سلامة القضاعي العزامي، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ص 16.

41 - عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها - شرح مختصر صحيح البخاري، 5 أجزاء، ط 3، دار الجيل، بيروت، لا. ت. ج. 1، ص 52.

وأتباع التابعين وفي الفترة السياسية التي كانت الغلبة فيها لسلطة الأغلبية والعبديين والزيريين.

ويعتبر الأستاذ خالد زهري أن الكلام عن دخول المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، لا يتم بمعزل عن الكلام على المذهب، الذي كان يمثل المرجعية العقدية التي حافظ من خلالها علماء المغرب على عقيدة أهل السنة، وواجهوا بها المذاهب العقدية المخالفة التي كان لها موطنٌ قدم في المنطقة، وانضوى تحتها الكثير من الأتباع. فقد ارتبطت عقيدة السلف في الغرب الإسلامي بالفقه المالكي، فانتشرت بانتشاره، وكانت لكليهما (42) سلطة معرفية قوية، بل يمكن القول بأنهما كانا يستمدان هذه القوة من بعضهما البعض، إذ كل منهما كان يمد الآخر بعناصر القوة والتجذر، وبعوامل البقاء والنمو (43).

42 - أي عقيدة السلف والفقه المالكي.

43 - خالد زهري، من علم الكلام إلى فقه الكلام، ط1، دار الرشد الحديثة-الدار البيضاء، ودار الضياء للنشر والتوزيع-الكويت، 2017م، ص296.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
الحديث النبوي الشريف:
* البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ط2، دار المنهاج للنشر والتوزيع ودار طوق النجاة، بيروت، 1429هـ.
* الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، 5 أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415 هـ 1995م.
المصادر والمراجع:
* الأسفرائيني طاهر بن محمد أبو المظفر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تحقيق: كمال الحوت، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ - 1983م.
* ابن أبي جمرة الأندلسي عبد الله، بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها - شرح مختصر صحيح البخاري، 5 أجزاء، ط3، دار الجيل، بيروت، د.ت.
* ابن الجوزي عبد الرحمن، دفع شبهة التشبيه، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م.
* البختي جمال علال، المذهب العقدي السني في الغرب الإسلامي، مقدمة تحقيق كتاب: عقيدة أبي بكر المرادي (ت489هـ/1106م)، منشورات مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية الرابطة المحمدية، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1433هـ-2012م.
* البغوي الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، 8 أجزاء، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ-1997م.
* ابن عساكر علي بن الحسن، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، ط1، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1440م-2018م.
* أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، عارضة الأحوذ بشرح صحيح الترمذي، 13 جزءا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1997م.
* ابن طاهر الحبيب، ابن أبي زيد القيرواني وعقيدته في الرسالة والجامع دراسة في المنهج والمضمون. ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1429هـ-2008م.
* البيهقي أحمد بن الحسين المعروف بأبي بكر، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ط1، دار الأفق الجديدة، بيروت، 1401هـ-1981م.
* الحصني تقي الدين أبو بكر الدمشقي، دفع شبهة من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد. تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م.
* الذهبي محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، 25 جزءا، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1985م.
* الزبيدي محمد مرتضى، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، 10 أجزاء، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ-1994م.
* زهري خالد، من علم الكلام إلى فقه الكلام، ط1، دار الرشد الحديثة-الدار البيضاء، ودار الضياء للنشر والتوزيع-الكويت، 1438هـ-2017م.
* السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، 6 أجزاء، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ-2012م.
* السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي، معيد النعم ومبيد النقم، ط1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1428هـ-2007م.
* العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 13 مجلدا، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
* علوان سليم، تفسير أولي النهي لقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)، 4، شركة دار المشاريع، بيروت، 1433هـ-2012م.
* القضاء العزامي سلامة، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
* كامل محمد عمر، كشي تقريفا للأمة باسم السلفية، مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»، ط1، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 1424هـ-2004م.
* اللاكثاني هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، 4 أجزاء، ط1، دار طيبة، الرياض، 1402هـ.
* المناوي محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1410هـ.
* الهرري عبد الله، المقالات السننية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، ط1، شركة دار المشاريع، بيروت، 1428هـ-2016م.
* اليحصبي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، جزآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م.

وثيقة : ندين هادث القتل البغيض للمدرس الفرنسي كما ندين الرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام

يقلم : فضيلة الشيخ احمد الطيب شيخ الازهر
اننا إذ نحتفل اليوم بذكرى مؤلّد محمّد فإننا لا نحتفل بمجرد شخص بلغ الغاية في مدارج الأخلاق العُلّيا، ومراتب الكمال القصوى، وإنما نحتفل في حقيقة الأمر بتجلي الإشراق الإلهي على الإنسانية جمعاء، وظهوره في صورة رسالة إلهية ختمت بها جميع الرسالات، وكلف بتليغها للبشرية نبي خاتم، بلغ الرسالة، أدى الأمانة، ونصح الأمة، ولم يتركها حتى وضعها على محجة الحق والخير والجمال، وحذرنا من الهوان والمذلة إن هي انحرفت إلى طرق أخرى لا ترجع منها إلا إلى هلاك محقق ودمار مؤكد.. يقول العرياض بن سارية: «وَعظْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيْونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَاذَا تَعَهَّدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قد تركتكم على البیضاء لئلا تنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» والبيضاء هي: شريعته الواضحة السهلة، ثم قال: «ومن يعيش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عصوا عليها بالنواجذ».

ثم ما لبث هذا الدين أن انتشر انتشار الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، وكان انتشاره السريع تحقيقاً لمعجزة من معجزاته، فحواها أن هذا الدين سيطوي الكون ويلف الوجود بأسره، وكان حديثه عن هذا الأمر حديث الواثق الذي يرى الأحداث من وراء حجب الغيب رأي العين، بل يراها بأشد مما تراه العين، يقول هذا النبي الكريم: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»، ويقول في رواية ثوبان: «إن الله تعالى زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» وملك أمته: دينها وشريعته.

ومعقد الإعجاز في هذين الحديثين الشريفين يكمن في أنه كشف لأصحابه ولأعدائه -أيضاً- عن بلوغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار في وقت كانت جدود الإسلام فيه لا تتجاوز جدود جزيرة العرب، وكان هذا الوعد في ذلك الوقت أشبه بحلم مستحيل التحقيق، ولولا أنه كان واثقاً من وعده هذا وثوقه من نفسه التي بين جنبيه، ما غامر بهذا الكلام، ولا صدع به في وجه أعداء يتربصون به، ويتصقطن هفوة تصدر منه ليشغبوا بها على دينه الجديد الذي قلب حياتهم رأساً على عقب.

هذا الحديث -وأمثاله أيها الحفل الكريم!- هو ما يبعث في قلوب المسلمين يقيناً لا يهتز بأن بقاء الإسلام وخلوده، وطبع اسم نبيه على جبين الزمان، أمر تولاه الله بنفسه، وأراه لنبيه رأي العين، وهو يشاهد مشارق الأرض ومغاربها.

والأمر كذلك فيما يتعلق ببقاء القرآن الكريم وحفظه وخلوده، فهو مما تولاه الله وحده، ولم يعهد به إلى أحد غيره.. إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر: 9، وهكذا نحن المسلمين لا نرتاب لحظة في أن الإسلام والقرآن ومحمداً مصابيح إلهية تضيء على الأرض طريق الإنسانية وهي تبحث عن سعادتها في الدنيا والآخرة، وأن هذه المصابيح

الثلاثة محفوظةٌ بحفظ الله ومشيتته ووعده.. كما لا نرتاب في دحر المعتدين عليها أيًا كانت أجناسهم وأعرافهم وكيف ما كانت ملهمهم وعقائدهم وكيف نخاف والله يقول لنا: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ التوبة: 32، وفي آية أخرى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ الصَّف: 8، وفي آية ثالثة: وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعُ مَن فِي الْقُبُورِ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ فاطر: 20-24. أمَّا مُحَمَّدٌ فهو هذا الرسول الذي من الله به على عباده المؤمنين- في قوله تعالى لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ آل عمران: 164، نعم لولاه ولولا ما أُرْسِلَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَبَقِيَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ بَعَثِهِ فِي ظُلَامٍ دَامِسٍ؛ وفي ضلال مُّبِينٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدٌ -بِنَصِّ الْقُرْآنِ- هُوَ «النور» الَّذِي يُبَدِّدُ اللَّهُ بِهِ ظُلُمَاتِ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ المائدة: 15، أي: جاءكم من الله نور هو مُحَمَّدٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ هُوَ «القرآن الكريم».

وكَمَا سَمَّاهُ اللَّهُ «نُورًا» سَمَّاهُ «سَرَاجًا مُنِيرًا»، وَخَلِطَبَهُ بِهِ خَطَابًا مُبَاشِرًا: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَّاجًا مُنِيرًا» الأحزاب: 45-46. وَمُحَمَّدٌ، هُوَ الرَّحْمَةُ الْمُرْسَلَةُ لِلْعَالَمِينَ أَجْمَعٍ: مُؤْمِنُهُمْ وَكُافِرُهُمْ: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ الْأَنْبِيَاءُ: 107، كَمَا يَقُولُ عَنِ نَفْسِهِ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ». الْحَقُّ الْكَرِيمُ!

هذا قليل من كثير مما قدّمه للعالم صاحب هذه الذكرى العطرة، وأنقذ به الأمم والشعوب، وصحّح به التواءات الحضارات وعجاجاتها، وهو مما يُوجب علينا نحن المؤمنين به تجديد مشاعر الحب والولاء لهذا النبي، والدفاع عنه بأرواحنا ونفوسنا وأهلينا وأولادنا وبكل ما نملك ومن كل غال ونفيس..

واعلموا أيها الإخوة أن محبته فرض عين على كل مسلم من أمته... وقد نهى القرآن لذلك في قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ التوبة: 24، فَمَنْ كَانَ أَبُوهُ أَوْ ابْنُهُ أَوْ عَائِلَتُهُ أَوْ مَالُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ رَسُولِ اللَّهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْتَظِرَ مَا سَيُجْلِي بِهِ عَاجِلًا وَأَجَلًا، ثُمَّ هُوَ مِنَ الْفَاسِقِينَ، وَيُعْضَدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْحَبِّ هُنَا الْحَبُّ الْعَاطِفِيُّ الْحَسَبِيُّ الَّذِي هُوَ مَيْلُ النَّفْسِ وَهَوَاهَا، وَالَّذِي لَا يَدُ لِلْإِنْسَانِ فِي جَلْبِهِ أَوْ صَرْفِهِ، وَمِنْهُ: حُبُّ النَّفْسِ وَالْوَالِدِ وَالْمَالِ، فَهَذَا الْحَبُّ خَارِجٌ عَنِ اخْتِيَارِ الْمَرْءِ، وَعَنِ اسْتِطَاعَتِهِ، بَلِ الْمَطْلُوبُ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ - هُوَ الْحَبُّ الْعَقْلِيُّ الْإِخْتِيَارِيُّ الَّذِي يَتَكُونُ نَتِيجَةَ النَّظَرِ وَالْعِلْمِ وَالْمُقَايَسَةِ، كَمَحَبَّةِ الْأَبْطَالِ وَالْعِظَمَاءِ وَأَصْحَابِ الْخَلْقِ الرَّفِيعِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَمَيِّزِينَ بِالسَّمِيِّ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ هَذَا الْحَبَّ الْعَقْلِيَّ هُوَ الْمَطْلُوبُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ «أَوَّلُ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ، أَمَّا كَمَالُ هَذَا الْحَبِّ فَهُوَ أَنْ تُصِيرَ عَوَاطِفُ

المسلم تابعاً لعقله في حُبِّه عليه الصَّلَاة والسَّلَام». .
الحفْل الكَرِيم!

إنَّ العالم الإسلامي ومؤسساته الدنيَّة وفي مقدمتها: الأزهر الشريف قد سارع إلى إدانة حادث القتل البغيض للمدرس الفرنسي في باريس، وهو حادث مؤسف ومؤلم، لكن من المؤسف أشدَّ الأسف ومن المؤلم غاية الألم أيضاً أن نرى الإساءة للإسلام والمسلمين في عالمنا اليوم وقد أصبحت أداة لحشد الأصوات والمضاربة بها في أسواق الانتخابات، وهذه الرسوم المسيئة لنبيِّنا العظيم والتي تتبناها بعض الصُّحف والمجلات، بل بعض السياسات هي عبثٌ وتهريجٌ وانفلاتٌ من كل قيود المسؤوليَّة والالتزام الخلقي والعرف الدولي والقانون العام، وهو عداءٌ صريحٌ لهذا الدين الحنيف، ولنبيِّه الذي بعثه الله رحمةً للعالمين.

وإننا ومن موقع الأزهر الشريف إذ نرفض وبقوة مع كل دول العالم الإسلامي هذه البذاءات التي لا تسيء في الحقيقة إلى المسلمين ونبيِّ المسلمين، بقدر ما تسيء إلى هؤلاء الذين يجهلون عظمة هذا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، نحن إذ نفعل ذلك فإننا ندعو المجتمع الدولي لإقرار تشريع عالمي يجرم معاداة المسلمين والتفرقة بينهم وبين غيرهم في الحقوق والواجبات والاحترام الكامل المتبادل، كما أننا ندعو المواطنين المسلمين في الدول الغربية إلى الاندماج الإيجابي الواعي في هذه المجتمعات، والذي يحفظ عليهم هويَّاتهم الدنيَّة والثقافية. ويحول دون انجرارهم وراء استفزازات اليمين المتطرف، والعنصرية الكريهة، وأستقطابات جماعات الإسلام السياسي، وعلى المسلمين المواطنين أن يتقيدوا بالتمزام الطرق السَّلمية والقانونية والعقلانية في مقاومة خطاب الكراهية، وفي الحصول على حقوقهم المشروعة؛ اقتداءً بأخلاق نبيهم الكريم.

هذا وإنِّي لأعجبُ العجبَ كله أن توقَّد نارَ الفتنة والكراهية والإساءة في أقطار طالما تغنَّت بأنها مهد الثقافة وحاضنة الحضارة والتوير والعلم والحداثة وحقوق الإنسان، ثم تضطرب في يديها المعايير اضطراباً واسعاً، حتى بتنا نراها وهي تمسك بإحدى يديها مشكاة الحرية وحقوق الإنسان، بينما تمسك باليد الأخرى دعوة الكراهية ومشاعل النيران. أيها المسلمون! لا تبتسوا ممَّا حدث وممَّا سيحدث أيضاً، فقد تعرَّض نبيُّكم في حياته وبعد رحيله لما هو أشدُّ من ذلك ممَّا كان يُقَال به بالصَّفح والإحسان والدعاء للجاهلين به بالهداية.. وكان يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» عملاً لهما أمره الله به تعالى: «فاصفح الصفح الجميل» الحجر 85 «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» المائدة 133، «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ البقرة/109. وإنِّي لأستبشر كل الاستبشار حين أتذكر الآية الكريمة المعجزة التي تكفل الله فيها وحده للدفاع عن نبيِّه الكريم في قوله تعالى: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْحَجْر: 95 صدق الله العظيم.

وفي الختام، ومن وحي هذه الذكرى العطرة، يُشرفني غاية الشرف أن أعلن عن إطلاق الأزهر الشريف منصَّةً عالميَّةً للتعريف بنبيِّ الرَّحمة ورسول الإنسانية يقوم على تشغيلها مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، وبالعديد من لغات العالم.. وكذلك تخصيص مسابقة علمية عالمية عن أخلاق محمد وإسهاماته التاريخية الكبرى في مسيرة الحب والخير والسلام.

يا أمة جهرت تعاليم نبيها مصدا صلى الله عليه وسلم

بقلم: الاستاذ صالح العود/فرنسا

أعلن مؤخرا أن الخامس عشر من شهر اكتوبر بدءا من هذا العام (2020م)، سيكون يوما عالميا لغسل اليدين، تتيبها على اهمية (غسل اليدين) بعد اجتياح وباء كورونا وتفشيه في انحاء العالم، اذ لم يعد يرحم أحدا كبيرا وحتى صغارا.

والمسلمون أينما كانوا، يعلمون- ومنهم من لا يعلم- أن غسل اليدين ضرورة حتمية- ولا يكفي المسح بالورق- فهي شعيرة شهيرة في شريعة الاسلام: (عبادات ومعاملات)، سواء بعد الخلاء، أو قبل الوضوء، أو عند مباشرة الاستحمام، أو قبل الاكل وبعده، أو عقب الاستيقاظ من النوم، وكذلك حين القيام بعمل ما ولو كان ضئيلا أو قليلا..

وقد أشار سيد الخلق، ورسول الحق: حبيبا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع ذلك بل وأكثر، قبل ظهور مثل هذا الوباء الخطير والمستجد بخمسة عشر قرنا.

فما أعظمك وأحلمك وأرحمك يا سيد الوجود في هذه الحياة.. فأنت دون شك الهادي... والمرشد... والمعلم للبشرية جمعاء، من أجل إيساعدهم في دنياهم، ورفاهيتهم في شؤونهم الدانية والقاصية، وامتعهم بالصحة التامة، والعافية الدائمة، من كل الامراض، وسيء الاسقام بأنواعها. ان غسل اليدين الذي اتخذ يوما احتفائيا، هو أصلا منصوص عليه في اي مصدر ديني وشرعي، من ذلك على سبيل الذكر وليس الحصر: كتب السنة (كبيرها وصغيرها)، ومراجع الفقه (مختصراتها ومطوّلاتها)، وكتب الاداب والاخلاق والتوجيه، وهذه مزية، اذ يتعلمها الصغار في المدارس النظامية، أو دونها مثل الكتاتيب، بل وقبل ذلك، أعني: في المنازل، حيث يأخذونها على امهاتهم وآبائهم، اذ هم المدرسة الاولى في حياتهم البدائية.

ومن هنا صاغ الشاعر النبيل، حافظ ابراهيم (شاعر النيل) أبياتا رائعة عن الام ضمن قصيدته الماتمة التي القاها في حفل جامع بتاريخ (29 ماي 1910م = 1328هـ)، مشيدا بدورها كمرشدة فاضلة، ومربية قديرة:

(الأم) استاذ الاساتذة الالى شغلت مآثرهم مدى الافاق

(الأم) مدرسة إذا اعدتها اعددت شعبا طيب الاعراق

(الام) روض إن تعهده الحيا بالريّ أورق أيما ايراق

ان الماء الزلال، هو سرّ الحياة بتقدير العليم الحكيم جل جلاله، فمن توكلّ عليه فلا يخيب مسعاه ولا مشواره...

لقد ورد لفظ الماء صريحا، ثم بمشتقاته، وكذلك بمعناه في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، وان دل ذلك، فانه يدل بطبيعة الحال على اهمية هذا السائل الحقيقي والرائع جدا جدا، بل واسباسه في جميع مجالات الحياة، التي لنا بها صلة ذاتية، وبدونها ربما لا تستقيم الحياة ولا المعاشات، ولا انعاش حيوي، ولا سعادة نفسية وبدنية، ولا ديمومة في شؤوننا كلها.

إن في قوله عزّ وجل: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، وقوله (وفي السماء رزقكم وما توعدون)، اعجاز بليغ، وتحذ عميق، وما وراثية عميقة، لمن عرف ومن لم يعرف، وصدق الله العظيم وهو حق- اذ يقول للجميع في ميدان الواقع: (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين).

شعر: نقولا فياض / لبنان
نبي العرب الرحمنى بيانا

نبي العرب الهمني بيانا *** على عجزى، أهزّ به الزمانا
 وارفع للنفوس لواء حق *** وابسطه على الدنيا أمانا
 واجعل في حنايا كل صدر *** لمولّدك المبارك مهرجانا
 ألا في ذمة التاريخ يوم *** به التاريخ وضّاء وعزّ شانا
 تبلّجت الجزيرة عن سناه *** فألبس رملها العاري جمانا
 وحوّل وحشة الصحراء أنسا *** وأفسح للخلود بها مكانا
 ودوّى صوته في كل أذن *** على الآفاق، يطربها أذانا

رمال البيد كم اغريت ظعنا *** فكابد فيك من ظمأ وعانا
 يلجّ بقفرك الخاوي حُداء *** ولا يقضي الحُداء له لبانا
 وما درت القوافل أيّ سرّ *** عليه نام صدرك منذ كانا
 وأي غد يُطلّ به، جنانا *** وماء كوثرنا يُروي الجنانا
 تمرّ بك الليالي كالحات *** ومكة كالعرائس عنفوانا
 وفي اجفانها حلم بعيد *** تجرّ به المطارف أرجوانا
 وحول اللات والعزّى طواف *** يروّعها ويستبق الاوانا
 ونجم الجاهلية في افول *** ورب عكاظ معقود لسانا
 واجنحة الملائك في الاعالي *** يemor حفيفها آنا فآنا
 إلى أن شاء ربك فاستقرت *** وقالت للمقدر كن فكانا
 ومن مهد قريشي عديم *** تعالى النور فاكتسح الزمانا
 فيا لك مولدا حضنته دنيا *** ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا
 ويا لك من يتيم عز يُتما *** وحلّى الفقر حُلته وزانا
 يحمل نفسه زهدا وسهدا *** وتشريدا وجوعا وامتهانا
 ولا يُثنيه وعد أو وعيد *** ليلوي دون دعوته العنانا
 يرى في الشمس مطمح ناظريه *** ويغمر وجهه القمر افتنانا
 فلو وضعوهما في راحتيه *** لما رضي التخاذل أو توانى

حواه «حراء» كنز الدهر حينا *** ولغزا في دجى الغار استباننا
 يروح اليه جبريل ويغدو *** فينفخه الفصاحة والبياننا
 ويُصلته على الكفار سيفا *** متى يقطر دما يقطر حناننا

وكان هناك في الحكم انتداب *** على الاعراب يثقلهم هوانا
 فللروم الشام عنت ودانت *** وللفرس العراق عنا ودانا
 فحطّم بعد قيصر مجد كسرى *** وقال خذوا لوحدتكم ضماننا
 واعطاهم على الاسلام دينا *** يوزع في الورى الشيم الحساننا
 ولم يحبس عن الانثى حقوقا *** ولم ينقض لسلطتها كياننا
 فكان لها جلال الام عرشا *** واحسان النبوة صولجاننا
 تخضب بالحياء لها جبيننا *** وما خضبت لزينتها بنانا
 فيا دنيا استعزي ان فجرا *** جديدا للمكارم فيك باننا
 يفيض سماحة ويشع عدلا *** ويصلي من بغى حربا عواننا
 تعاليم لو العرب استمرت *** عليها، اين منها أن تُهاننا

يتيم الدهر، للدهر انقلاب *** دها الاجيال منه ما دهانا
 وهذا اليوم بارقة الاماني *** تطل فلا تضل بها خطانا
 ليجمع شمله في المجد شعب *** على شرف العروبة ما استكاننا
 ولبنان الذي للضاد فيه *** منابع لم يفجرها سواننا
 وقد ابقى له في كل ارض *** يحلّ بها بنوه ترجماننا
 يحيي اليوم عيدك مستقلا *** فتملاً بهجة العيد الجنانا
 بني امي، خبرنا الغرب دهرا *** وشاهدنا مطامعه عياننا
 فكيف يغرنا منه سراب *** نشدّ له الرحال وما سقانا
 تباعدنا زمانا وافترقنا *** فهلا جاء موعدنا وحنانا
 وهلا كان غير الحب حال *** يوحدنا ويبلغنا منانا؟
 وما استقلالنا إلا سبيل *** لنوسع في مدى العليا مدانا
 زرعت إلى السماء بحق عيسى *** وحقك يا محمد أن يصاننا

قبلت في كلية المقاصد الخيرية في عيد المولد

مفكرون غربيون ينصفون نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام

لا نأتي بجديد وانما نذكر والذكرى تتفع المؤمنين ونحن في أجواء مولد سيد الاولين والآخرين من ارسله الله رحمة للعالمين وحبينا وقررة اعيننا وشفيعنا عند ربنا يوم لا ينفع مال ولا بنون سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولا نتذوق حلاوة الايمان (وللايمان حلاوة معنوية غير مادية) الا اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من مالنا وولدنا وانفسنا التي بين جنبينا. وقد جعل الله علامة حبا له سبحانه في اتباع رسوله ونبيه فقال جل من قائل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ادبه ربه فاحسن تاديبه و مدحه فقال في حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لعلى خلق عظيم). وهو اتباع في أداء الشعائر من صلاة وحج وغيرها، واتباع له في خلقه وسيرته وكل معاملاته التي كان فيها عليه الصلاة والسلام في قمة الكمال الإنساني، ودواوين السنة والسيرة والشمائل والخصائص وأمهات كتب التاريخ مليئة بما يقف دليلا على ذلك في اجماع لم يشهد التاريخ له نظيرا .

ولقائل ان يقول ان هذا الحب والتعلق والتقدير لا يستغرب من الاتباع والمؤمنين بكل نبي ورسول. نقول نعم ولكن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام لم يقتصر الثناء عليه والشهادة له بالكارم والمحامد على المسلمين فان الكثيرين من غير المسلمين قديما وحديثا من كبار المفكرين والفلاسفة والحكماء والشعراء ممن تعرفوا على سيرته وتفاصيل حياته لم يتأخروا عن الإدلاء بشهاداتهم (والحق ما شهد به الاخر). وهي شهادات كثيرة لا يمكن الإتيان عليها ولكن حسبنا في هذه المناسبة ذكرى مولده عليه الصلاة والسلام التي تتزامن هذا العام مع ماجد في الآونة الأخيرة في فرنسا من اقدم شاب شيشاني على ارتكاب عملية إرهابية شنيعة يدينها كل مسلم تتمثل في ذبح أستاذ تاريخ اقدم (بتعلة حرية الراي) على عرض صور كاريكاتورية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتلاميذه. ومع ذلك فان رد الفعل العاقل والرصين لا يمكن أن يكون بالصنيع المدان وبالطريقة التي اقدم عليها الشاب الشيشاني الموتور.

إن الرد على هذا الأستاذ الذي لم يحترم مشاعر تلاميذه المسلمين انما يكون بما تصرف به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كل من اساء اليه فقد دفع دائما بالتي احسن وكضم غيظه وعفا ودعا بالهداية لكل من اساء اليه عليه الصلاة والسلام. وفي فرنسا وفي اوروبا يمينيون عنصريون متعصبون كما في المسلمين متعصبون ومتطرفون وارهابيون وهؤلاء وأولئك الطرفين ينبغي ان يدانوا وان لا يسمح لهم بقرع طبول الحرب والصدام، ولكن في اوروبا وفي فرنسا عقلاء ورجالات كبار يستحقون كل الاحترام والتقدير والتذكير بشهاداتهم في نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام وما اجمل ان نستعيد شهاداتهم وفي ما يلي شهادات بعضهم.

* شهادة شاعر فرنسا الكبير لامرتين:

يقول (اعظم حدث في حياتي هو انني درست حياة رسول الله محمد (صلى الله عليه

وسلم) دراسة وافية وادركت ما فيها من عظمة وخلود) ويمضي لامرتين قائلًا (أي رجل ادرك العظمة الإنسانية مثلما ادرك محمد وأي انسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق).

* شهادة الشاعر الألماني الكبير «قوته»:

يقول (كلما قرأت القرآن شعرت ان روحي تهتز داخل جسمي) ويمضي قائلًا (القران كتاب الكتب واني اعتقد هذا كما يعتقد كل مسلم ولقد بحثت في التاريخ عن مثل اعلى لهذا الانسان فوجدته في النبي العربي محمد (صلى الله عليه وسلم).

ويخاطب قوته استاذه الروحي الشاعر الكبير حافظ شيرازي فيقول (ياحا فظ ان اغانيك لتبعث السكون انني مهاجر اليك با جناس البشرية المحطمة، بهم جميعا ارجوك ان تاخذنا في طريق الهجرة الى المهاجر الأعظم محمد ابن عبدالله) ويقول قوته (ان التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية واننا اهل اوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد الى ما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عليه احد).

ولما بلغ قوته السبعين من عمره اعلن على الملا انه يعتزم الاحتفال في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي انزل فيها القران على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

* شهادة المستشرقة الايطالية (لورا فاغلييري) في كتابها (دفاع عن الاسلام) الذي نقله إلى اللغة العربية الاستاذة ذنير البعلبكي ونشرته دار العلم للملايين في لبنان.

تقول لورا فاغلييري (.. وحاول اقوى اعداء الاسلام وقد اعماهم الحقد ان يرموا نبي الله ببعض التهم المفتراة. لقد نسوا ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان قبل ان يستهل رسالته موضع الاجلال العظيم من مواطنيه بسبب امانته وطهارة حياته. ومن عجب ان هؤلاء الناس لا يجشمون انفسهم عناء التساؤل كيف جاز ان يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين في بعض آيات من القران اللاسعة بنار الجحيم الابدية لو كان هو قبل ذلك رجلا كذابا. كيف تجرأ على التبشير (الدعوة) على الرغم من اهانات مواطنيه. إذا لم يكن ثمة قوة داخلية تحته. وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة حثا موصولا. كيف استطاع ان يستهل صراعا كان يبدو يائسا. كيف وفق إلى ان يواصل هذا الصراع أكثر من عشر سنوات في مكة في نجاح قليل جدا وفي احزان لا تحصى إذا لم يكن مؤمنا ايمانا عميقا بصدق رسالته؟ كيف جاز ان يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والاذكياء وان يؤازروه ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا انفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الارقاء والعتقاء والفقراء المعدمين إن لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى ان نقول أكثر من ذلك فحتى بين الغربيين يكاد ينقصد الإجماع على ان صدق محمد كان عميقا واكيدا). انظر الصفحة 38 من كتاب دفاع عن الاسلام.

ولاننا اردنا من هذه الورقة مجرد شهادات لايمكن ان نضيف إليها واهميتها تكمن في صدورها عن اعلام كبار.

* (فلورا فاغلييري) : ردت بالحجة القوية على الذين ما انفكوا يلوكون ويرددون

الافتراءات والأباطيل وهم في قرارة انفسهم غير مقتنعين بما يقولون. وهؤلاء لم ينقطع سندهم ولكن الله وعد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيكفيه هؤلاء المفترين المستهزئين، ففي مثل هذه الشهادات وسواها الكفاية وهي كثيرة وجديرة بان يعمم نشرها ليس باللسان العربي ولكن بلغات الشعوب التي تشهد نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من باب (وشهد شاهد من اهله).

* شهادة الالمانية (انيماري شميل):

ألفت (انيماري شميل) كتابا اختارت له عنوانا (وان محمدا رسول الله) صلى الله عليه وسلم نقله إلى العربية الدكتور عيسى علي العاكوب وتفضل باهدائي نسخة منه مشكورا الاستاذ الدكتور فريد قطاط وقد تجاوزت صفحات هذا الكتاب الاربعمائة. وهو كتاب ممتع عبارة عن رحلة روحية في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم صورت فيها المؤلفه مظاهر تعلق شعوب الاسلام على تنوعها برسول الله صلى الله عليه وسلم. تقول الاستاذة انيماري شميل (في عصرنا الحاضر فان وعي الذات الجديد لدى المسلمين جاء مباغتًا جدا في الغرب. حيث ظل سلام لامتد طويل في حال سبات ومهما يكن فان هذا الوعي الجديد للذات قد حمل الغرب إلى اعادة النظر في بعض فكر الاسلام الدينية والاجتماعية الاساسية ابتغاء الوصول إلى فهم افضل للقيم التي كانت وما تزال اساسية لدى المسلمين ولعل هذا ما يبرر محاولتنا تصوير كيف رأى المسلمون الورعون النبي محمدا عبر القرون برغم ان صورتهم لم تكن دائما صحيحة من الوجهة التاريخية فإنها يقينا تعكس تأثيره الهائل في حياتهم وربما سيفهم القارئ غير المسلم من شهادة الفقهاء والشعراء العرب واليرانيين والترك والمسلمين في الهند وفي افريقيا كم هو عميق حب المسلمين له. وكم هي شدة ثقتهم به واطمئنانهم إليه. وكم حظي بالتبجيل وكم استدعيت ذكره على امتداد العصر وكم احيط بالالقاب الاكثر تألقا ومجدا.

ان محمدا يشكل حقا الاسوة والمثال لكل مؤمن مسلم. يطلب منه ان يقلده في كل الافعال والتصرفات. حتى ما يبدو منها غير ذي اهمية. وسيكون من المرجح ان يدهش بالطريقة التي تصور فيها الصوفية عقيدة النور المحمدي الاولي حيث وضعوه في موقعه بوصفه الانسان الكامل منزلة ووظيفة كونيتين. ذلك ان محمدا وهو الاخير في السلسلة الطويلة من الانبياء بدا بادم ابي البشر هو النبي الذي اوتي بالوحي الاخير الذي شمل الوحي الأول كله ثم في الوقت نفسه اختزله في نقائه الاصلي) انظر الصفحة 25 من كتاب وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم).

ها هي (انيماري شميل) كشاهدة وهي التي جابت بلاد العرب والاسلام مشرقا ومغربا تقدم لبني جنسها وحضارتها شهادة على عمق تعلق المسلمين بنبيهم ورسولهم وهو تعلق تلقائي لا تكلف فيه، فحبه علامة ايما نهم ولذلك فلا ينبغي ان تستغرب

غيرتهم وتأثرهم الشديد وحزنهم العميق كلما وقع النيل من نبينهم ورسولهم وهو نفس الشعور الذي يشعرون به كلما وقع النيل من أي رمز من الرموز الدينية فكتاب المسلمين القرآن الكريم تقول ايا ته (لانفرق بين احد من رسله) ويتمنى المسلمون ان يسن قانون عالمي يجرم الاساءة لكل الرموز الدينية إذ لايمكن ان يعتبر ذلك من قبيل حرية الفكر.

* (الشاعر مارون عبود) العربي النصراني يتغنى بمكارم رسول الله صلى الله عليه وسلم

اختم هذه الشهادات بابيات لاحد الشعراء العرب النصارى مارون عبود (1886-1962) يخاطب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

لك في السماء منصة قدسية *** قامت على التوحيد والميزان
ماكنت سفاحا ولم تسفك دما *** الا بحق العادل الديان

ويقول مارون عبود

لله دينك جنة مختومة *** من كل فاكهة بها زوجان
دين تدفق حكمة وتجردا *** كالبهر لفظا والسماء معاني

الفت منه وحدة كونية *** العبد والمولى بها ندان
يا من يموت ودرعه مرهونة *** قد دست مجد الأصفر الرنان

لو ادت الناس الزكاة وانصفوا *** ما كان في الدنيا فقير عان
يسرت للناس الشؤون فايسروا *** أما الهوى فكبحته بعنان

وجمعت حولك يا رسول صحابة *** بعمايم ازهى من التيجان
خشنت ملابسهم ولان جوارهم *** بالعدل فالاعداء كالاخوان

إلى ان يقول

فلتنحن الاجيال اجلالا إذا *** ذكر النبي الاظهر العدناني

المالىء الدنيا بذكر الله والداعي *** شعوب الأرض للوحدان

ولينعق المتعصبون فلم يضر *** طير الجنان تمطق الغريان

يا لها من ابيات جميلة وشهادة منصفة من شاعر عربي نصراني في رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نختم بها هذه الورقة التي نحي بها سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام في ذكرى مولده ففيها الجواب المفحم والرد الضافي على كل متقول ومسيء له عليه الصلاة والسلام بالرسوم وبغير الرسوم.

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

الكلمة السواء

بقلم : الدكتور طه عبد الرحمان

رئيس منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين - المغرب

ما اوجنا إلى أن نجتمع إلى كلمة سواء بيننا، ألا وهي أن نفكر ونطيل التفكير لم حاجتنا إلى التفكير والى طول التفكير؟ وفيم ينبغي أن نفكر وان نفكر طويلا؟ فهل نحن في «أزمة فكرية» تضرب فيها آراؤنا ورؤانا بعضها بعضا أم في «هزيمة فكرية» حلت بنا لوجود تخاذل منا في القيام بواجبنا أو لوجود انكار من غيرنا لحقوقنا أم نحن في «فراغ فكري» اتى من موت اصاب الذهن والقلب فينا أم في «عجز فكري» نجم عن ضعف في افهامنا أو عن نقص في معارفنا؟

حقا، قد تتضارب آراؤنا ورؤانا، لكن ليس إلى حد الازمة الفكرية، وحقا، قد نخل بواجبنا أو نمنع من حقنا، لكن ليس إلى حد الهزيمة الفكرية، وحقا، قد تجمد اذهان بعضنا أو تقسو قلوبهم، لكن ليس إلى حد الفراغ الفكري، وحقا، قد تضعف افهام بعضنا أو تنقص معارفهم، ولكن ليس إلى حد العجز الفكري، فنحن لسنا مأزومين ولا مهزومين ولا فارغين ولا عاجزين، فماذا عسى يكون وضعنا في الفكر، حتى نحتاج إلى أن نتنادى إلى كلمة سواء بيننا، اي أن نفكر وان نطيل التفكير؟

إذا نحن تتادينا جهارا إلى أن نفكر سوية، فلأن ما نزل بنا هو على الحقيقة، تيه عظيم في عالم الافكار، فنحن تائهون حائرون، والتيه في الفكر كالتيه في الأرض، اذ لا اهداف يعلمها التائه يقينا، حتى يتجه اليها، ولا وسائل يملكها حقا حتى توصله إلى هذه الاهداف، والتيه الفكري الذي اصابنا ينطق به حال الشتات الذي يوجد فيه أهل الفكر بين اظهرنا، وهذا الشتات الوان شتى.

* شتات في المكان، فلا رواق يظلمهم ولا مجلس يضمهم ولا ملتقى يشملهم ولا دار ندوة تؤويهم.

* وشتات في الزمان، فلا حضور في عالم القرار لأفكارهم، ولا اثر في افق المستقبل لمواقفهم، ولا تحاور بين افراد الجيل الواحد منهم، ولا تخاطب بين مختلف اجيالهم. * وشتات في الأفكار، وهو اسوأ الوان الشتات، فهذا واقع تحت طائلة التقليد، داعيا إلى التريديد والانكماش، وذاك واقع تحت طائلة التتميط، داعيا إلى التكيف والاندماج، وهذا يتشبه بكل قديم، خوفا على فقدان الهوية، وذاك يتقلب مع كل جديد، طمعا في التحقق بالغيرية، وهذا كل يوم في اشكال، فتارة يندمج وتارة ينكمش، وتارة بين بين، وذاك لا في اشكال، يفكر لساعته لا يعدوها، لكن على تباينهم، درج كل واحد منهم على أن يفكر مزكيا نفسه، وهيئات أن يفكر معترضا عليها! والحق انه لو اشتغل بالاعتراض على نفسه، لأدرك انه في تيه عظيم.

فما اشد حاجتنا إذن إلى أن نفكر معترضين على ما نحن فيه والى أن نطيل التفكير فيما ينبغي أن نكون عليه، اذ لا مفر لنا من أن نسعى إلى الخروج من التيه الفكري الذي طال بنا امده، والا هلكنا كما يهلك التائه في المفاوز، ولا خروج من هذا التيه إلا بالاهتداء

إلى الاهداف الصالحة والوسائل النافذة.

أما الاهتداء إلى الاهداف الصالحة، فيكون لا بتفكير الفرد الواحد، وإنما بتفكير الجماعة الكثيرة، اذ هو الذي يولد ما يمكن أن نسميه بـ «الافكار الكبرى» والاصل في التفكير الكبير أن يفكر في مقاصد الامور، فيبادر باستتباطها من ظواهرها. واما الاهتداء إلى الوسائل النافذة، فانه يكون باطالة التفكير، اذ هو الذي يولد ما يمكن أن نسميه بـ «الافكار الطولى» والتفكير في الوسيلة يزيد على التفكير في الهدف درجة، ولا تكون انفذ الوسائل إلا من الافكار الطولى، لأن الاصل في التفكير الطويل أن يفكر في عواقب الامور، فيبادر بتداركها من اوائلها، والفكرة الكبرى تحتاج في تحققها إلى الفكرة الطولى.

فاذن الخروج من التيه الفكري العظيم الذي نحن فيه لا يتيسر لنا إلا بتحصيل الافكار الكبرى، اذ هي وحدها التي تثمر الاهداف الصالحة، وايضا بتحصيل الافكار الطولى، اذ هي وحدها التي تثمر الوسائل النافذة.

ولا علينا من الباس الفكرة الكبرى بالفكرة الصغرى ومن الباس الفكرة الطولى بالفكرة القصيرة، لا بمنزلة الباس الحق بالباطل، واشد مظاهر هذا الالباس قلب المفاهيم وتحريفها. وتشويهها وتمييعها أو على العكس تضيقها، واسوأ تضيق للمفاهيم حصرها بين طرفين اثنين لا ثالث لهما، فيتعين تجديد النظر في كثير من المفاهيم المنشورة من حولنا، فحسنا ونقدا وتصحيحا وتنقيحا.

ولا خير لنا أن ندرأ بالفكرة الكبرى الفكرة الصغرى وان ندرأ بالفكرة الطولى الفكرة القصيرة، لأن ذلك بمنزلة درء السيئة بالحسنة، واجلى مظاهر هذا الدرأ احياء المفاهيم المنتجة من مفاهيمنا وتوسيعها وتلوينها ونظمها في انساق محكمة وتنزيلها على الوقائع المناسبة، وتطويرها بما يناسب الظروف المستجدة، واحسن تطوير للمفاهيم هو انشاء مفاهيم جديدة من لدنا قد يخصنا بعضها وقد يشاركنا في بعضها غيرنا، فما خصنا منها اقمنا الدليل على مشروعيتها، وما شاركنا فيه الغير توسلنا به في دفع ما يخصه من المفاهيم التي يريد أن يحملنا عليها حملا.

ونحن من جانبنا قد اخذنا على عهدتنا أن نسهم في النهوض بهذا الواجب، ألا وهو استتباط الافكار الكبرى والافكار الطولى! فهي وحدها التي لا تلبس الحق بالباطل وتدرأ السيئة بالحسنة، ولولا يقيننا بان هذا الطريق يخرجنا من التيه الفكري، لما سلكناه، طلبا لليقظة الفكرية التي تجب ما قبلها والتي طالما أملنا أن تهض بها همة المفكرين المخلصين، فاذن تعالوا جميعا إلى ان نفكر كبيرا لا صغيرا، وان نفكر طويلا لا قصيرا.

«نُصِرَ اللهُ عِباداً بِمَعِ مَقَالَتِي فَحَفِظُوهَا وَوَعَالَهَا...»

بقلم : الدكتور نجم الدين المدني - فرنسا

من بين العضلات التي على مسلمي اليوم الاجابة الشافية عنها: هي كيفيات تأويل بعض السنن المطهرة بما يتلاءم أولاً مع المقاصد العليا للشريعة الإسلامية الحنيفة، ومع الفطرة التي جبل الله عليها عباده وكذلك مع تبدل الاحوال وتغير الوقائع والازمان. والعلة الموجبة لطرح مثل هذا السؤال الخطير هو أن ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُمكن أن يحمل كله على نفس المحمل ولا أن يعد كله في نفس القوة من الحجية والقطعية والدلالة اذ لكل حديث سياقه ودلالته ان نحن اخطأناهما أخطانا فهم المغزى من الحديث، وقد يصار اما إلى تعطيل المقاصد أو إلى افتراض تعارض الظواهر أو عدم التلاؤم مع الجبلية والوقائع.

للإجابة عن هذا السؤال أقسم حديثي إلى قسمين:

1- كيفيات فهم السنة النبوية المطهرة

2- أهداف هذه القراءة.

1- كيفيات فهم السنة النبوية المطهرة

1.1 معرفة المساق:

المقصود هو توَسُّم القرائن الحافة بالحديث وانزاله في مقامه حتى نعرف جملة الملابس والاسباب التي رافقت صياغته على ذلك النحو وليس على نحو آخر وقد أجاد الإمام الشاطبي حين يقول: «ان المساقات تختلف باختلاف الاحوال والاوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية ومع ما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها فان القضية وان اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة، نازلة في شيء واحد فلا محيص للمتفهم عن ردّ آخر الكلام على اوله واوله على آخره واذك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف فان فرق النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه (...) وقد يعينه على هذا المقصد النظر في اسباب التنزيل فانها تبين كثيرا من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر...» .

واول من فطن إلى تعدد هذه المساقات هو الشيخ شهاب الدين احمد ابن باديس القراي في كتابه (انوار البروق في انواع الفروق) حيث ميز بين ثلاث مقامات للسنة المطهرة: هي التبليغ، (التشريع)، القضاء والامامة. يقول: «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإمام الاعظم والقاضي الاحكم والمفتي الاعلم (...) غير أن غالب تصرفه صلى الله عليه وسلم بالتبليغ لأن وصف الرسالة غالب عليه، ثم تقع تصرفاته منها ما يكون بالتبليغ والفتوى اجماعا، ومنها ما يجمع الناس على انه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس انه بالامامة، ومنها ما يختلف فيه لتردده بين رتبتي فصاعدا منهم من يغلب عليه رتبة، ومنهم من يغلب عليه أخرى»

وبين الشيخ الطاهر ابن عاشور رحمة الله عليه أن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يصدر عنها قول منه أو فعل هي اثنا عشر حالاً:

1- حال التشريع:

وهو اغلب الاحوال على الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لأجله بعثه الله كما جاء في قوله تعالى «وما محمد إلا رسول» آل عمران 144 .

2- حال الافتاء

مثل ما وقع في حجة الوداع واجابته عن تقديم بعض المناسك ونسيان بعضها .

3- حال القضاء:

وهو ما يصدر حين الفصل بين المتخاصمين المتشادين، وقد جمع الإمام محمد بن فرج المالكي القرطبي المعروف بابن الطلاع ت 497 هذه الاقضية في كتاب «اقضية رسول الله»

4- حال الامارة

خاصة فيما يقع في خلال احوال بعض الحروب مما يحتمل الخصوصية مثل النهي عن اكل الحمر الاهلية في الغزوات واعطاء السلب إلى القاتل في الحرب

5- حال الهدى والارشاد:

وهو اعم من حال التشريع خصوصاً الارشاد إلى مكارم الاخلاق وآداب الصحبة والارشاد إلى الاعتقاد الصحيح والمندوبات وذكر اوصاف أهل الجنة .

6- حال المصالحة بين الناس وهو يخالف حال القضاء مثل قضية كعب بن مالك حين طالب عبد الله بن أبي بمال كان له عليه فارتفعت اصواتهما في المسجد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا كعب» وأشار بيده الى وضع الشطر فرضي كعب واخذ نصف المال .

7- حال الاشارة على المستشير:

مثل ما وقع في حديث بريرة وفي حديث بدو التمر

8- حال النصيحة:

حديث النحل (العطاء) لبعض الابناء وقوله صلى الله عليه وسلم «لا، اشهد غيري» ولم يشتهر هذا النهي وإنما هو نهي نصيحة لإكمال اصلاح امر العائلة وليس تحجييراً .

9- حال طلب حمل النفوس على الاكمل من الاعمال من الاوامر والنواهي الراجعة إلى تكميل نفوس أصحابه وحملهم على ما يليق بجلال مرتبتهم في الدين من الاتصاف باكمل الاحوال مما لو حمل عليه جمع الامة لكان حرجاً علياً . وقد قال البراء بن عازب: «نهانا عن خواتيم الذهب وعن أنية الذهب وعن المياثر (ج. ميثرة فراش صغير بقدر الطنفسة تجعل تحت الراكب) وعن القسية (ج. قسي وهي ثياب مصرية فيها اضلاع ناتئة من الحرير والديباج والاستبرق) .

10- حال تعليم الحقائق العالية: وهي مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة أصحابه . فقد روى أبو ذر قال: قال لي خليلي «يا ابا ذر أتبصر أحداً؟ قلت نعم . قال:

ما احب أن لي مثل احد ذهباً لا نفقه كله إلا ثلاثة دنانير» فظن أبو ذر أن هذا امر عام للامة فجعل ينهى عن اكتناز المال وقد انكر عليه عثمان.

11- حال التأديب: وهو حال قد تحف به المبالغة بقصد التهديد والتوبيخ.

12- حال التجرد عن الارشاد وهو امر يرجع إلى العمل في الجبلية وفي دواعي الحياة المادية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في شؤونه البيئية ومعاشه الحيوي اعمالاً لا قصد منها إلى تشريع ولا إلى طلب متابعة وهذا كصفات الطعام واللباس والاضطجاع والمشي والركوب. ولقد بين الشيخ عبد العلي محمد نظام الدين الانصاري هذا فقال: «فصل في بيان حكم افعاله صلى الله عليه وسلم: الاتفاق في افعاله الجبلية الصادرة بمقتضى الطبيعة: الاباحة مطلقاً في حقه صلوات الله وسلامه عليه وآله واصحابه وفي حق الامة، والاتفاق فيما خص به بدليل كالزيادة على الاربع في النكاح والوصال في الصوم (...). والعبادات خاصة دون غيرها. والشيخ أبو الحسن الكرخي والاشعرية قالوا يخصه صلى الله عليه وسلم فلا يعم الامة إلا بدليل خاص معمم»

2- أهداف هذه القراءة

1- دفع التعارض:

قد يوهم اهمال هذه المساقات التي ذكرناها بتعارض ظواهر الأحاديث ولا يدفع هذا التعارض إلا بامضاء الحديث حسب المقاصد العليا للشريعة. قال الشافعي: «ولزم أهل العلم أن يمضوا الخبرين على وجوههما ما وجدوا لإمضائهما وجهاً، ولا يعدونهما مختلفين وهما يحتملان أن يمضيا وذلك إذا أمكن فيهما أن يمضيا معاً أو وجد السبيل إلى امضائهما ولم يكن منهنما واحد باوجب من الاخر .

وكذلك قال الخطابي: «وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر وامكن التوفيق بينهما وترتيب احدهما على الاخر أن لا يحمل على المنافاة ولا يضرب بعضهما ببعض، ليستعمل كل واحد منهما في موضعه وبهذا جرت فيه العلماء في كثير من الحديث»

2- عدم تعريض الشريعة للاستخفاف واتهامها بالقصور.

3- اظهار مطابقتها مبادئها العليا للعصور المتتالية والازمان المختلفة.

4- مزيد تاصيل مبدأ «التجرد عن الارشاد فيما يتعلق بالجبلية ودواعي الحياة المادية» حتى يصار إلى التشريع المقاصدي.

ولتلخيص كل هذه المعاني جاء فيما اخبر به سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمان بن عبد الله بن مسعود عن ابيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه»

فالعبرة إذا ليست فقط في الاستماع والحفظ إنما في الوعي والتأدية.

في رياض السنة الحديث الرابع عشر : حرمة دم المسلم وقية حياته في الإسلام

بقلم : الاستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول اله صلى الله عليه وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

رواه البخاري ومسلم

يتعلق هذا الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بدم المسلم وحياته هذه الحياة التي أحاطتها تعاليم الإسلام بحرمة ومجموعة من الضمانات التي تجعل من انتهاكها والاعتداء عليها وإزهاقها جرماً عظيماً وكبيرة من الكبائر التي توجب لمقترفها دخول نار جهنم. فالنفس البشرية عزيزة على ربها فهو الذي خلقها وسواها وهو وحده سبحانه وتعالى محيياً ومميتها. فمن سولت له نفسه إزهاق نفس بشرية واحدة ظلماً وعدواناً هو مجرم ليس له حظ ولا نصيب في رحمة الله وغفرانه. وتستوي في استحقاق ضمان الحياة وعدم تعريضها لمخاطر القتل كل الأنفس البشرية مهما كانت عقائدها وأديانها وألوانها وأجناسها ومراتبها الاجتماعية لذلك ورد الوعيد في كتاب الله في صيغته العامة (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فهذه الآية الكريمة الواردة في كتاب الله العزيز هي من الشرع الحنيف الذي شرعه الله لعباده وبلغه عنه كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وتضمنته كل الكتب والصحف المنزلة من عند الله، إن الحكم الوارد في هذه الآية (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) هو شرع لمن سبقنا من الأمم التي أرسل إليها أنبياء وأنزلت لهم كتب «وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ».

فهذا الحكم الشرعي الإسلامي المتشدد في معاقبة من يعتدي على نفس بشرية بالقتل من أروع ما يدل على إنسانية الإسلام وسماحته وسعة صدره وقبوله للآخر وتسليمه بأن الاختلاف جائز.

فالقتل حرام في دين الإسلام وهو جريمة لا تغتفر، وهو اعتداء وتجاوز، فالله سبحانه وتعالى هو وحده واهب الحياة وهو وحده الذي يحيي ويميت. والقتل ظلم كبير لا يقبله المولى سبحانه من أحد مهما كانت مبرراته وتعللاته. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بأن دم المسلم وعرضه وماله كلها حرام انتهاكها مثل حرمة البلد الحرام والشهر الحرام.

إن الإسلام لا يجيز القتل وسفك الدماء مهما كانت الأسباب ومهما كانت الغايات،

فالغايات النبيلة السامية لا بد أن تكون وسائلها سامية ونبيلة. إن الإسلام لا يقدر القتل ولا يبيح سفك الدماء وترويع الأمنين، إن الإسلام دين امن وسلام ووئام، وبواطن الناس متروكة لربهم وقد استتكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أجهز بسيفه على من قيل عنه انه نطق بالشهادة بلسانه فقط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقائل: هل شققت صدره؟ إن الإسلام يحرم الإكراه على اعتناق الدين (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) و تعاليم الإسلام صريحة في ذلك وهي تقول (لكم دينكم ولي دين) وتقول (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء).

فإذا كان أمر الدين كذلك فقد أغلق الإسلام بذلك كل أبواب الفتنة وسدها ودفع الناس إلى التعايش في ما بينهم في كنف الأمن والسلام والاحترام المتبادل بين الناس مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم وأجناسهم وألوانهم وطبقاتهم.

وهذا الحديث يحدد الحالات التي يحل فيها دم المسلم. وجعل لها من القيود والشروط ما يجعل القتل إن وقع فهو محدود جدا وليست له دوافع ذاتية وانتقامية يبدو فيها اتباع الهوى جليا. وكل حالة من هذه الحالات «الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» تحكمها قاعدة جليلة هي التحري الكبير وإقامة الحجة واستبعاد كل الظنون الواهية، إن قاعدة (ادرؤوا الحدود بالشبهات) بينة في تبرئة كل من يمكن تبرئته حتى لا يدخل تحت طائلة هذا العقاب الشديد الذي هو قتل للنفس البشرية الا من ثبتت ادانته.

والتشريعات الإسلامية ذات صبغة زجرية يبدو فيها جليا التخويف والترهيب حتى لا يقع المحذور -أي ارتكاب الموبقة- وتلك طريقة بيداغوجية لا تخفي جدواها وتأثيرها الايجابي تجعل من يهم بالوقوع في الموبقة يرعوي خوفا من العقاب الشديد الذي يمكن أن يطوله. ان التشريعات الإسلامية يبدو فيها جانب التنظير أكثر من التجسيم والتعجيل بإيقاع العقوبة. والإسلام يربي المسلم على الخلق الكريم ويقوي إيمانه وخشيته لربه التي كثيرا ما تحول بينه وبين الوقوع في قاذورة من هذه القاذورات.

ثم إن من لا يقيم عليه حد من الحدود في الدنيا فلا يعني ذلك انه سيفلت من عقاب الله إن هو وقع فعلا في المحذور فقد ورد في الحديث الشريف أن من وقع في موبقة من هذه الموبقات وأقيم عليه حد فترك كفارته «أي لا يعاقبه الله مرة أخرى في الدار الآخرة» ومن ستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه .

واستتكر الإسلام شديد الاستتكار صنيع من يحبون أن تشيع الفاحشة وتشيع وتوعد أولئك الذين يلغون في أعراض الناس ولا يتثبتون (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) والنيل من أعراض الناس واتهامهم بالباطل ليس بالأمر الهين (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم).

ومجتمع المسلمين هو مجتمع الطهارة والعفة، فقد راعى الإسلام كل ما خلق في الإنسان من غرائز وجعل الاستجابة لها في الحلال أمرا مشروعا بل يثاب عليه المؤمن «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» والإسلام يسد كل منافذ الفتنة وأبوابها وكل ما يمكن أن يؤدي إليها فعند ذلك يصبح التعدي على الأعراض وانتهاك الحرمات وإتيان الموبقات ظلما وعدوانا ومن يأتي ذلك

ولا يتستر (إذا عصيتم فاستتروا) ويشهد عليه أربعة شهداء تتحد شهادتهم ولا تختلف ولو جزئياً من يفعل ذلك يقام الحد عليه ويقتل ذكراً كان أو أنثى وذلك إذا كان محصناً متزوجاً .

إن هذا الحكم الذي يبدو شديداً فإن إثباته دون اعتراف من مقترفه يكاد يكون أمراً مستحيلاً ومع ذلك فإن هذا الحكم يظل قائماً كرادع ومخوف حتى لا تنتشر الرذيلة وتشيع الفاحشة ويعصى الله دون استحياء وفي ذلك تحد من القائم به للخالق وللمخلوق . على أن أمر هذه الأحكام «الحدود» لا بد من تهيئة الأجواء التامة المناسبة لتطبيقها وهل يمكن أن يدعى مدع أن ذلك يمكن أن يقع بين يوم وليلة خصوصاً في عصرنا الحاضر؟ إن المعول عليه في أمر الاستقامة والالتزام بها إنما هي التربية والإقناع وتقوية الوازع الديني، وقد تنقضي عقود ولربما أكثر من ذلك بكثير لينتهي إلى هذه النتيجة وهي إقامة حد من الحدود وقد لا يقع ذلك تماماً لأن المقصود هو في النهاية الاقتراب من الفضيلة والابتعاد أقصى ما يمكن من الرذيلة «المعصية» التي هي متوقعة من الإنسان الضعيف، الإنسان صاحب النفس الأمارة. وقد أجاز الفقهاء للقاضي أن يلحق الإنكار لمن يقف بين يديه متهماً فيشككه فيما فعل لعله ينكر فإن وصل القاضي إلى هذه النتيجة أطلق سبيله أي ترك أمره لربه الذي خلقه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه .

ثم لا يظن ظان أن إقامة الحد على مرتكب أية موبقة من الموبقات هو من مشمولات الأفراد أو حتى الهيئات والمجموعات كلاً وألف كلاً إنها من مشمولات أنظار جهة واحدة وهي من ولاء الله أمر المسلمين فتلك من مهامه الكثيرة والمتعددة .

* الحالة الثانية التي تقتل فيها النفس هي حالة القتل العمد والإسلام في هذا المضمار يتخذ قاعدة له وهي : القتل أنفى للقتل وهي قاعدة مستتلة ومستلزمة من قوله جل من قائل (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) والإسلام بالنسبة للقتل العمد لا يقبل بغير القصاص بديلاً ويضرب الإسلام عرض الحائط بكل دعوات الإشفاق والرحمة والدموع المنسكبة على القتلة استرحاماً وإشفاقاً بهم. وهؤلاء لو أن المقتول هو أحد الأعزة عليهم لكان موقفهم من القصاص من القاتل عمداً غير هذا الموقف المسترحم .

إن ابتغاء الأعداء والتعلات لهؤلاء وطلب مراعاة كل ظروف التخفيف على المجرمين فاقدي الأدمية والإنسانية من نزع من قلوبهم الرحمة والشفقة فسولت لهم أنفسهم إزهاق الأنفس البشرية عمداً مع سابق الإضمار لا يمكن قبوله فهؤلاء القتلة لا خير يرتجى منهم والتخفيف عنهم تشجيع لغيرهم على السير في طريقهم. والتجربة المعيشة في كل البلدان التي ألغت عقوبة قتل القاتل عمداً تفيد بأن حوادث القتل العمد ازداد نسقها طالما أن المجرم متيقن أنه في أقصى العقوبات سيبقى في مأمن من أن يقتل أنشد سيستسهل القتل ويقدم عليه. وعندما ينتشر القتل في مجتمع من المجتمعات تعم الفتنة ويزول العمران والتحضر والتعايش وتسود شريعة الغاب لذلك اعتبر الإسلام أنه ليس أصلح بالناس ولا يجعل حياتهم في أمن وسلام غير قتل القاتل عمداً وعدم الإشفاق عليه والرحمة به والمولى سبحانه وتعالى أرحم بعباده من رحمتهم لبعضهم البعض. فهو أرحم الراحمين وهو أحكم الحاكمين .

* الحالة الثالثة التي يقتل من أجلها الإنسان هي حالة التارك لدينه المفارق للجماعة

أي الكفر بعد الإسلام وهذه الحالة مما يكثر حولها الجدل وينظر من خلالها إلى الإسلام على أنه دين إكراه وإرغام للناس على البقاء فيه، والمفروض حسب رأي هؤلاء أن الإسلام بمثل ما يترك الحرية كاملة لمن يريد أن يدخل فيه أو يبقى على دينه فالمفروض أن يجعل من الخروج من الإسلام أمراً يدخل ضمن حرية الإنسان.

والواقع أن هذه القضية دقيقة تحتاج إلى تحقيق ففيها وجهات نظر متعددة ويمكن التوصل فيها إلى ما يلتقي مع توجهات الإسلام وخصائصه ومميزاته خصوصاً وإن الحديث يتضمن ما يفيد الربط بين التبديل للدين والمفارقة للجماعة.

فمنذ البداية يعرض الإسلام مبدأ الحرية كمبدأ أساسي لا حياء عنه فلا يجوز في أمر العقيدة والإيمان الإكراه والإلزام والضغط المادي والمعنوي. إن الهداية بيد الله والإيمان في القلب وإذا أصبح الإيمان بالإكراه فإنه ينشأ عنه النفاق وإظهار عكس الحقيقة. ثم إن الأجر حاصل في الدعوة إلى الإسلام بمجرد عرض الإسلام على الناس والعبرة ليست بعدد من يهتدون، ولا ينبغي للمسلم أن يصبح الكم العددي هو همه وغايته، فغايته هي مرضاة الله ببذل الجهد والهداية بيد الله ولا بد من اعلام من توجه إليهم الدعوة بأن المسألة جد وفيها التزام، وفيها فضلاً عن الجانب الإيماني جانب اجتماعي انتمائي لمجموعة تدين بدين واحد فإذا علم كل ذلك فإن الدخول في الإسلام يكون بعد تريث وبحرية كاملة واقتناع كلي يصحبه التزام بعهد مع الله ومع الجماعة التي هي أمة الإسلام التي يصبح الداخل فيها له ما لكل أفرادها وعليه ما عليهم. فالداخل للإسلام حسب هذا التمشي هو باق في الإسلام لن يخرج منه ولن يبتغي عنه بديلاً لأنه واجد في الإسلام كل ما يبتغيه، وواجد في الإسلام من الحرية والحق في الاختلاف والاجتهاد مع البقاء في دائرة الإسلام فلا يمكن أن يكفره احد وفاعل ذلك ينال العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة. إن المبدل لدينه المفارق للجماعة هو منحاز كما يذهب إلى ذلك العديد من الفقهاء إلى من يعادي المسلمين ويحارب دينهم وهو مستحق للقتل للسبب الثاني أي الانحياز إلى العدو وإعلان المحاربة للإسلام والمسلمين. أما إثبات تغيير دينه إذا لم يصرح هو بذلك وإذا لم يعلنه بوضوح ومكاشفة فهو أمر يصعب جداً إثباته عليه، فقتله هو بيده وليس بيد احد غيره ويمكنه الإسلام من التراجع والتوبة فيكون كأن لم يصدر عنه شيء ويبقى في دائرة الإسلام وضمن أمة الإسلام التي اتسع صدرها عبر تاريخها الطويل لكثير من الفرق والمذاهب وأصحاب الدعوات الشاذة والآراء الغريبة وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى اعتبارها من أمة الإسلام طالما أن ألسنتها تنطق بالشهادتين «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» فهذه الكلمة الخفيفة على اللسان يعصم كل مسلم دمه فلا يقتل ولا يعتدى عليه.

إن التكفير والمسارة إلى إخراج الناس من دائرة الإسلام ليس من طبيعة الإسلام، دين التسامح والتعايش والحرية، ولا يلجأ إلى التكفير إلا من زادهم في العلم محدود أما العلماء العارفين والذين يعلمون التأويل «وهم الراسخون في العلم» هؤلاء يبتغون لمخالفهم ألف عذر وعذر ويعملون جاهدين من أجل إقناع من يمكن أن يتشككوا أو يرتابوا أو يتسرعوا لظرف من الظروف إلى إلقاء التبعة على الإسلام، فالسبيل مع هؤلاء هو الصبر عليهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن وبالحكمة والموعظة الحسنة وإعطاء القدوة والمثال فإن الله إذا أراد هدايتهم ييسر لهم السبيل.

توافق الامازيغية مع العربية في كثير من الألفاظ

بقلم : الدكتورة نذير اوسالم الجزائري أستاذ اللغة والتفسير بجامعة وهران الجزائر
إن التراث الجزائري غني بتنوعه، و تعدد مشاربه قد جاءت به أزمان متواترة، و حضارات متعاقبة، و شعوب جاورت أهل هذه البلاد الأصليين من الامازيغ، فإذا بالأفكار، و الرؤى، و الأعراف، و العادات، و الألسنة تتلاقح، و يتأثر الناس بعضهم ببعض؛ و هذا مصداقا لمقولة علماء الاجتماع المشهورة: «الإنسان مدني بطبعه».

و لعل أعظم اثر عرفه أهل هذه البلاد، ما أعقب مجيء الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية في الشمال الإفريقي، الذي ما زادته الأيام إلا رسوخا و ثباتا، و على الرغم من محاولة الاستعمار الفرنسي. طيلة بقاءه محوه و تدنيسه.

فالإسلام دخل إلى هذه البقعة الطيبة من الشمال الإفريقي، و قد رضيه أهله من الامازيغ دينا لهم، أشربته قلوبهم، و وعته عقولهم، و لانت بلغة القرآن ألسنتهم، و الكل يعلم ان اللغات إذا تجاوزت تأثر بعضها ببعض، كشأن اللهجات العامية بالجزائر التي أخذت من الامازيغية أساليبها، و تراكيبها، و نغماتها الصوتية، و مخارج حروفها، فكأنما هي اللغة الامازيغية بكلام عربي.

أما الامازيغية فهي مزيج من الألفاظ الامازيغية الأصيلة، مع كثير من الألفاظ العربية الدخيلة، و بالأحرى القرآنية التي وجد فيها الامازيغ ضالتهم في التعبير عما يشدونه من المعاني، و صارت تلك الألفاظ منها و إليها، ممزجة لاشية فيها.

فإذا ما رجعنا إلى اللهجة القبائلية (تقبيليث) نجد أهلها يتداولون فيها الكثير من الألفاظ القرآنية، و المصطلحات الفقهية، مما لا نجد له مثيلا في سائر ضواحي البلاد، مما ينم عن وعي بالفقه و مصطلحاته عند عامة الناس في بلاد القبائل، كما يدل الدلالة الواضحة عن تأثرهم العميق بالقران.

الامازيغ . كما هو معلوم . لهم شخصيتهم الخاصة التي يعتدون بها اعتدادا بالغا، لا يتنازلون عنها أبدا . مهما ادلهمت الخطوب، و لكنهم حينما يأنسون إلى ما يجدونه عند غيرهم، لا يستكفون عن الاستفادة منهم، و ذلك هو شان العقلاء الذين يرنون إلى المزيد النافع أينما وجد، و الإسلام كان المعين الذي لا ينضب لأبناء الامازيغ، يكرعون منه على الدوام دون انقطاع، و هم يدركون بصدق ان حاجتهم إليه ماسة لا يصدهم عن ذلك صاد، و هم بذلك تعلموا اللغة العربية ووعوها، و قرؤوا القران و حفظوه، و حرصوا على تعاليم الإسلام، و قد انصهروا في روحانيته السامية التي شددت قلوبهم إلى هذا الدين شدا وثيقا، و ذلك ما تدعو إليه طبيعتهم . و إن بدت في ظاهرها قاسية . إلا ان بواطنهم تحمل سيولا من العواطف الرقيقة النقية، و الأحاسيس الجياشة النبيلة، و ذلك ما يشهد به كل من عاشرهم، و سبر أغوارهم.

و مثل تلك الخصائص و الخصال هي التي تدفعهم إلى قبول كل ما يأتي به القران من لفظ رائق، و معنى فائق، و هدي سامق، و عندها يقتبسون منه اللفظ الفصيح

ليجمل به كلامهم، و يلتزمون أحكامه لأنهم أدركوا معناه و فحواه، و ذلك ما يصدقه واقع الناس في بلاد القبائل. قبل ان تصيبها لوثات هذا العصر. حينما نكتشف ان الحياة الاجتماعية لديهم بما فيها من عادات، و أعراف، و سلوكات، و مخاطبات. قد تأثرت بما جاء به الدين الحنيف، ممثلاً في أحكام القرآن و السنة، و أقوال السادة الفقهاء. و لا عجب في هذا، فان بلاد الزواوة عرفت من الزوايا، و الحواضر العلمية أكثر مما عرف غيرها، و بجاية. كانت من ابرز الحواضر العلمية في بلادنا لعدة قرون، و قد عرفت من العلماء و الصلحاء، ما أعقب من المآثر العلمية، و المعارف الصوفية ما لا ينكره احد، و بجاية كانت قبلة العلماء من شتى بقاع الأرض، و يكفيها ان كانت موثلاً لأمثال أبي بكر بن العربي، و عبد الرحمان بن خلدون، و أبي مدين الفوث، و من لا يحصي عددهم إلا الله.

و حينما نطالع عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية لأبي عباس الغبريني (... 714هـ)، و كذا الرحلة الورثيلانية: نزهة الأنظار في فضل التاريخ و الأخبار لسيدى الحسين بن محمد الورثيلاني (1125 . 1194هـ)، أقول عند مطالعة هذين الكتابين و غيرهما، سندرك ان هذه القطعة الطيبة من بلاد الجزائر و ما جاورها، عرفت من الآثار العلمية و الروحية ما ينينا عن عمق الدين و التدين في قلوب أصحابها، و ان اقلت أنواره في بعض الأحيان فان أفولها لا يطول، إذ قلوب الناس فيها سهلة الانقياد، إذا ما وجدت الأيدي الحانية، و السلوك الجميل فيمن يدعوها إلى الخير و يقودها به.

توافق الامازيغية مع العربية في كثير من الألفاظ

ولا اريد أن ادخل في دوامة الاختلاف الذي دار بين كثير من الباحثين، الذين تناولوا هذه المسألة بكثير من الحياد عن الصواب و الموضوعية العلمية، إذ المسألة في كثير من جوانبها لا تعدو أن تكون اجتهادات يعتريها كثير من الاحتمالات التي لا تؤدي بالباحث إلى اليقين، و لذا تطرح هذه المسألة على بساط البحث، و يدلي فيها كل طرف برأيه. و السبب الاساس في هذه المعضلة قلة الكتابات أو عدم اكتشافها، و علماء الآثار لا يزالون يبحثون عن حفريات الازمنة الغابرة، لعلها تكشف لهم من الاسرار ما يفض بعض النزاعات، و يفك عقد الاحتمالات التي يتخبطون فيها.

لا يمكن لأي باحث لغوي أن ينفي التقارب بين البربرية و العربية، وها هو الدكتور يوسي آرو أستاذ اللغات و الآداب الشرقية في جامعة هلسنكي بفنلندا يعزو هذا التقارب إلى اقرب العصور يقول: «أما بالنسبة عن قرابة اللغات العربية و اللغة البربرية، فعلياً أن ننبه إلى حقيقة مبدئية أخرى وهي اننا نلاحظ أن ثمة تشابهاً قريباً جداً بين اللغة البربرية و اللهجات العربية في بلاد افريقيا الشمالية خاصة في مجموع المفردات اللغوية، و لكن هذا التشابه قريب العهد و مرده للاتصالات القريبة بين العرب و البربر منذ الفتوحات الإسلامية، فلقد استعار البربر كمية ضخمة من المفردات العربية، كما و أن العربية بدورها قد استعارت عدة مفردات بربرية، و نعرف مثلاً أن الأرقام في كثير من اللهجات البربرية إنما هي ارقام عربية، و لكن كل هذا يشكل ظاهرة حديثة أو قريبة

العهد ولا اهمية لها بالنسبة للعصور القديمة»
وعندما أتحدث عن مسالة التوافق بين الامازيغية والعربية لا بد أن استحضر اسما لامعا في عالم الفكر والابتكار، وان كان للاسف الشديد اسما باهتا عند كثير من الناس عندنا، وأقصد به يهوذا بن قريش التاهرتي الذي تعرفت عليه وعلى كتابه الذي يقارن فيه بين العربية، والبربرية، والعبرية في مقال كتبه الوزير السابق السيد أحمد الطالب الابراهيمي في مجلة الاصاله التي لم اعثر عليها، ومن حسن الحظ أن غيره قد كتب عن هذا النابغة وكتابه، وفيه يقول السيد أحمد التوفيق المدني رحمه الله «لقد بلغ التسامح الديني في دولة بني رستم مبلغا سمح لليهود بمزاولة العلم كالمسلمين والتبحر فيه، حتى نبغ من بينهم يهوذا بن قريش الذي ترك كتابا عجيبا لا يزال إلى اليوم موجودا بمكتبة اكسفورد، وقد نظر في كتابه هذا بين العربية والعبرية والبربرية، واثبت أن اصلها واحد، وكان يتقن تلك اللغات الثلاث علاوة على الفارسية، فكان هذا اليهودي التيهرتي اول واضع لعلم النحو التطبيقي»

وقال عنه شيخنا العلامة عبد الرحمان الجيلالي وهو يتحدث عن أعلام الفكر الذين نبغوا على عهد الرستميين: «ويكفيينا في الاستدلال على نبوغ يهوذا بن قريش التاهرتي في القرن الرابع الهجري، فانه كان متضلعا في كل اللغات العربية والعبرانية والارامية والفارسية والبربرية، وحاول المقارنة بين بعضها وهو الواضع لاسس النحو التطبيقي، وله في ذلك كتاب موجود بمكتبة اكسفورد ببلاد انجلترا هو من انفس ما كتب في الموضوع»

اقول ان مثل هذا الكتاب لو وضع بين ايدي الباحثين، قد يحل كثيرا من المعضلات العالقة في مجال المقارنة بين اللغات السامية والحامية. والذي اراه، والله اعلم، أن تاثر الامازيغ باللغة العربية قد وقع في كثير مما يتداولونه من الالفاظ والعبارات، لا لشيء إلا لكون هذه اللغة هي لغة القرآن، وبحبهم لهذا الكتاب هو الذي دفعهم إلى أن يتخيروا منه كثيرا من الالفاظ ليستعملوها في مخاطباتهم، حتى صارت وكأنها جزء من لغتهم، وفعلهم هذا دليل وعي، وسداد رأي، وسعة افق، لأن العاقل هو الذي يتخير من كل شيء أجمله، ولا ريب أن لغة القرآن جميلة في معانيها، جزلة في مبانيها، فلا يعد نقصا ولا عيبا فيمن اخذ من لغة ما يطور به لغته، والعرب فعلوا الشيء نفسه حينما استفادوا من اللغات التي ثبت احتكاكهم بها، وكذلك جاء في القرآن من الالفاظ ما ليس عربيا، وإذا رجعنا إلى سائر اللغات التي يتحدث بها المسلمون من الفرس والهنود والأتراك وغيرهم، فإننا سنكتشف انها استعملت من الكلام العربي الشيء الكثير، وهي تكتب كلامها بالحرف العربي، وهاهي اللغات الاوروبية جرمانية كانت أو لاتينية كما يثبته الباحثون قد تاثرت باللغة العربية واللغة الاسبانية كثير منها عربي.

أثر لغة القرآن في القبائلية

ان اقتباس لغة من لغة أخرى ليس عيبا، كما ذكرت سابقا، بل هو دليل نضج وتطور،

واقْتباس أهل الزواوة من القرآن بما يناسب لغتهم ويتسق مع أوضاعها اللغوية امر ظاهر، وذلك ما سابرزه بشيء من التفصيل مستشهدا بالآيات القرآنية مع اعتماد كتب اللغة والتفاسير، حتى تكون المقارنة صحيحة ودقيقة، وأنا إذ اتكلم عن ذلك الاقتباس إنما أقصد تلكم الالفاظ الخفية التي لا يدركها إلا أهل التخصص، أما الالفاظ القرآنية المشهورة، كالصلاة والرب والخرة والصراف والملائكة والجن والرسول والقيامة وغيرها فانها معلومة تجري على كل لسان مسلم عربيا كان أو امازيغيا أو هنديا أو فارسيا.

فمن تلك الالفاظ الجارية على ألسنة أهل الزواوة، ولا نجد لها استعمالا مماثلا في العامية الجزائرية:

1 - أمحيف: يقولون: إج امحيف جر سين اي لم يعدل بين اثنين من الناس، وهذا ما يوافق الكلمة الواردة في القرآن وهي «يحيف» في قوله تعالى «أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله» النور 50- اي يجور وهو من الحيف ومعناه الجور، فالكلمتان متفقتان لفظا ومعنى فهما من مادة ح ي ف يقول الراغب الاصبهاني: «الحيف الميل في الحكم والجنوح إلى احد الجانبين قال تعالى «أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله» النور 50 اي يخافون أن يجور في حكمه» وهذه الكلمة لا نجدها في العاميات في شتى مناطق البلاد على حسب علمي.

2 - الرّيف: يقولون عن شيء ما، إذا كان على طرف صخرة أو غير ذلك: اثنان فالرف اي على حرف اذن هناك توافقا بين الكلمتين في اللفظ والمعنى، حتى وان حدث تحريف في كلمة الرف، فالتطابق كائن بين الحرفين الراء والفاء مع توافق في الترتيب هذا من جهة، ومن جهة أخرى فكلمة الرّف في العربية تحمل معنى الطرف، ومن جهة ثالثة فكلمة الرف حافظت على القاعدة النحوية في التعريف بالالف واللام مع تشديد الراء وهي من الحروف الشمسية هذا من قواعد اللغة العربية التي لا تتازعها فيها اية لغة أخرى.

3 - ينسراح: يقولون ينسراح ووليس أو ينسراح ووذميس ومعناه انشرح قلبه، أو انشرح وجهه، فأصل الكلمة الشرح، اي بسط اللحم ونحوه، يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر، والمعنى الأول موجود في الكلام العامي في قولهم لمشّرح، ويقولون في القبائلية تشريحت اي شريحة اللحم وهذا متفق تماما مع المعنى العربي، ولكن الاغرب منه أن تتفق الكلمة القبائلية ينسراح مع الكلمة القرآنية لفظا ومعنى وهذا هو الداعي للعجب، وهو ما جاء في قوله: «ألم نشرح لك صدرك» وكأن اصحابها اختاروا اللفظ الذي خص به نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام دون غيره مع وجود المعنى نفسه لو قالوا (يشرح ووليس) ووزن انفعل في هذا الفعل وغيره من الكلمات يتفق وما هو كائن في اللغة السامية، كما يثبتته الباحثون في مجال اللسانيات.

4 - يمغونز: يقولون فلان ذ فلان امغونزان، أو يقال أيضا امغونزان امبجراسن، اي فسد ما بينهما، أو هجر كل منهما الآخر، ولعل هذا مأخوذ من قوله تعالى «من بعد ما نزع الشيطان بيني وبين اخوتي» (يوسف/100) أو قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي

هي احسن إن الشيطان ينزغ بينهم) الاسراء/53 ، والنزغ معناه دخول في أمر لإفساده «ونزغ الشيطان» أي أفسد وأغوى.

نخلص مما سبق إلى أن الكلمتين تحملان معنى الفساد، وهما من مادة واحدة ن ز غ أو غ ن ز وان تغير الترتيب بين حروفها، وهذا امر مألوف في اللغة العربية، ولعل هذا من وجوه الاتفاق بين الامازيغية والعربية.

اثر الفقه في اللهجة القبائلية

الفقه الاسلامي في كثير من أحكامه، كان يحكم حياة الناس في بلادنا وفي سائر بلاد المسلمين، إلا أن المثير للانتباه في بلاد الزواوة أن الناس فيها وان كانوا من جملة العوام إلا أنهم يتداولون بعض المصطلحات الفقهية الدقيقة التي لا يعرفها في كثير من الاحيان، إلا من درس الفقه، وعاش مع مصطلحاته في الكتب الفقهية المتخصصة.

وانا اعزو هذه الظاهرة إلى كثرة الزوايا والفقهاء في بلاد الزواوة، ومعايشة الفقهاء لسكان هذه المنطقة في كل احوالهم، خصوصا إذا عرفنا أن المنطقة عرفت بعض الانظمة الصالحة التي اسهمت في هذا التقارب، كالذي يطلق عليه في هذه المنطقة «تجميت» أو «تجمعت» على اختلاف المناطق، والتي كانت تولي صنعة الكلام مكانة رفيعة،

وكانت تعنى ببلاعة الخطاب وفصاحته عناية فائقة، وكانت لا تقدم في تمثيلها في المجامع والمحافل إلا من فصّح لسانه، ورجح عقله، وتوكل إليهم فض النزاعات الدائرة بين الافراد والعشائر، وهذا ما يستدعي الاطلاع على المصطلحات الفقهية التي يصدرها الفقهاء ويتولى تطبيقها اعيان تجمعت، ويلتزم بها الاهالي دون تمييز أو اعتراض

هذه أذن بعض المصطلحات الفقهية المؤمزة:

1 - يقولون فلان ايشوفاد أو ايشوفعاد أكال اي فلان استعمل حق الشفعة في امتلاك الأرض فالشفعة مصطلح فقهي يستعمل في بلاد الزواوة بصيغة الفعل، ويراد به المعنى الفقهي نفسه الذي هو اخذ الشريك حصة شريك جبرا شراء ، وعرفها الدردير بقوله: «الشفعة استحقاق شريك اخذ ما عاوض به شريكه» ، والشفعة من المصطلحات الفقهية التي لا يدرك معناها كثير من الناس في المناطق الاخرى إلا من كان فقيها، أو له احتكاك باهل الفقه، أما في منطقة القبائل، فانك ان سالت عجوزا امية، مثلا، عن معنى تلك الكلمة فانها ستخبرك به دون صعوبة أو تلكؤ.

2 - يقولون عند الحلف اجمع لييمان أذ يلزمن، عندما يريد الناس في منطقة القبائل تغليظ الايمان والتاكيد عليها يستعملون هذه الصيغة في الحلف، وهي تحوي على ثلاث كلمات تحمل معنى العزم والالزام فكلمة أجمع تساوي كلمة «أجمع» التي يراد بها العزم لقوله تعالى «فأجمعوا امركم وشركاءكم» (الانفال/) وهذا ما أراه في معنى هذه الكلمة، وقد يراد بها معنى «جميع» اي «كل» لتشمل الايمان كلها، وقد نطق بها بعض الناس. فيما مضى مما لا نكاد نسمعه اليوم من احد البتة. بلفظ آخر، وهو قوله جل لييمان اي أعظم الايمان واوكدها، أما الكلمة الثانية من تلك العبارة فهي «الأيمان» جميع يمين، لعلهم التزموا الاستعمال، واما الكلمة الثالثة فهي لفظ «أذ يلزمن» بمعنى تلزمني وهي

أيضا من المصطلحات الفقهية.

فالمعنى الاجمالي لتلك العبارة: جميع الايمان تلزماني، وهي من الايمان المغلظة التي لم يكن أهل الهمة والنخوة من الرجال لا يرضى أن يحدث بعد التلفظ بها، مهما تكن الظروف..

3 - ثجعت وهذه أيضا من المصطلحات الفقهية ذات الاصل العربي، واللفظ فيها «جعل» أو «جعل» (مثلثة الجيم) ومعناها عندهم الاجرة التي تقدم لمن يقوم بعمل ما، وهو المعنى نفسه الذي يستعمله الفقهاء، ويراد به في اصطلاحهم «التزام مكلف رشيد عوضا ماليا في نظير أمر»، ويعرفه الجرجاني بأنه ما يجعل للعامل على عمله.

4 - بيراييس (= ب) وهو فعل يراد به معنى الطلاق اي طلقها، واصلها في كلام الفقهاء «برية»، وهي من الفاظ الكناية الدالة على طلاق البتة، كما في كتب الفقهاء كابن الحاجب وغيره، فالكلمة الواحدة في اللغتين وان استبدلت الباء إلى كما هي عادة الزاوة في كثير من الكلمات، وغالبا ما تكون ذات اصل عربي، كقولهم «أبريد» أي «البريد» ومعناها الطريق بلسان الزاوة، والامثلة على ذلك كثيرة، اذن ذلك ما يؤكد كون الكلمة التي تستعمل في الطلاق عند الزاوة مستمدة من الكلمة الفقهية «برية»، والبرية من البراءة اي برية من الزوج .

أما الذي لفت نظري أكثر أن الزاوة استعملوا الفعل نفسه في معنى آخر يوافق المعنى اللغوي للفظ الطلاق الذي يراد به معنى الارسال، تقول العرب فلان أطلق ناقته اي ارسلها، وهذا هو المعنى نفسه الذي يستعمله الناس عندنا، حينما يقول احدهم ابرويس ايولي، أو ابرويس اثفونست، أي ارسل الاغنام، أو ارسل البقرة.

فذلك اتفاق يستدعي النظر، وهو لا شك يثير العجب، ويؤكد على أن مصدر كلمة «بيرياس» مصدر فقهية لا محالة، لأن الفقهاء غالبا ما يعرفون الكلمات لغة واصطلاحا، فانتقل معنى الطلاق بلفظ «برية» بشقيه اللغوي والاصطلاحي إلى اللهجة القبائلية والله اعلم.

اردت أن نتبين ذلكم التأثير القوي للجانب الديني على الامازيغ في الشمال الافريقي، وان تراثهم مازجه الشيء الكثير من لغة القرآن، ومثله، ومبادئه، فانصهرت بذلك عقولهم، وقلوبهم، ولسنتهم، وكان حبهما لما اتى به الاسلام حبا صادقا وعميقا، لم يتخلوا عنه منذ أن اشربته قلوبهم، لأنهم أخذوه بعقول واعية، وقلوب صادقة، وهم قوم كما نعرف لا يرضخون لشيء إلا إذا ارتضوه والا نبذوه وراء ظهورهم.

من أعلام الزيتونة الشيخ محمد بوسمة رحمه الله (1914-1995)

بقلم : الاستاذ الطاهر بوسمة

سأكتب لكم عن الامام الشيخ محمد بوسمة شقيقي الأكبر وولي امري لسنين بعد وفاة والدنا رحمة الله عليه. وسأفعل ذلك استجابة لرغبة بعض الأصدقاء الذين رأوني أدون ما عرفته عن بعض القامات الكبرى من رجال طبلبة نسيهم رجال التاريخ بالرغم مما قدموه من اعمال جليلة وكان منهم الشيخ محمد بوسمة رحمه الله.

انه الابن الأكبر للمرحوم عبد القادر بوسمة الذي عاش بين القرنين 19 و20 وكان من حفظة القران الكريم ومواظبا على قراءته وتحفيظه لأبنائه الذكور الخمسة، ومرتباً في قراءة دلائل الخيرات مع جمع من امثاله كل ليلة بمقام جده سيدي عبد العزيز بن عياش رحمة الله عليه، كما كان يعطي دروساً في علم المواريث والفرائض في الجامع العتيق بطبلبة لتفوقه فيها. واما ما زاد على ذلك فانه كان منشغلاً بأملآكه الخاصة المتعددة والمنتشرة في غابة طبلبة من اشجار الزيتون وجنائن للبرتقال ومساحات اخرى مروية معدة لزراعة الخضر والغالال الفصلية، وكان يستغلها بطريقة المناولة والمساقاة مع غيره من المزارعين المختصين في الفلاحة.

ولد المترجم له الشيخ محمد بوسمة رحمه الله عليه في بداية القرن السابق وفي سنة 1914 بالتحديد كما تثبته الوثيقة الرسمية، ويمكن ان يكون أكبر من ذلك بقليل لان توثيق الولادات وقتها لم يكن وجوبياً، وتوفي في سنة 1995 عن عمر قضاها في التعليم والتدريس والتأمل والإرشاد والفتوى وإمامة المصلين بالجامع الحديث كل يوم الجمعة في طبلبة.

لقد عاش وترى في عائلة محافظة جدا وتزوج وأنجب ابنا وحفظ القرآن صغيراً وانخرط في التعليم الزيتوني قبل ان ينهيه بشهادة العالمية سنة 1939 ليعود بعدها نهائياً الى طبلبة للسير على خطى والده إذ لم يكن في حاجة للعمل وبقي مهتماً بشؤون العائلة وخاصة بعدما توفي والدنا وتركنا أطفالاً قصر، فكان عليه رعايتنا وتأهيلنا للمستقبل. ولم يكن الشغل وقتها بالنسبة للمتخرجين من الزيتونة مهما لأنهم كانوا يقرأون للعلم والتفقه في الدين ويهتمون بأملآكهم الخاصة وكانت عائلتنا منهم.

اكتشفنا بعد وفاته عبر المؤلف الخاص بتاريخ طبلبة الذي تمت كتابته ونشره من طرف السيدين رمضان بن ريانة وعادل بالكحلة أن المعنى بهذه الترجمة كانت له اجازة بموجب أمر علي في مباشرة خطة كعدل الإشهاد بطبلبة ولكنه لم يفعل توفيقاً وخوفاً من مسؤوليتها الكبيرة كما كان يتصور.

وكان مميزاً من الجميع في عائلتنا الصغيرة يعامل باحترام وهيبة، ولقد لاحظت ذلك بنفسي ومنذ ان أصبحت مدركا ومميزاً ورأيت كيف أن العائلة كلها تخصصه بذلك بما فيها الوالد. وكما رأيته يعتني كثيراً بلباسه الزيتوني المميز ويعتني عناية خاصة بعمامته البيضاء التي لا يخرج بدونها من المنزل الذي كنا نساكنه جميعاً، وكان قريباً من مقام

جدنا الأعلى سيدي عياش الذي تحدثت عنه . عرفت ذلك كله باليقين ومنذ حياة والدنا في سنة 1942 زمن الحرب العالمية الثانية .

ولا اتذكر يوما في صغر سني انني رأيت فيها اخي الشيخ محمد بوسمة يجلس معنا على الطعام أو يخوض فيما نخوض فيه من كلام لا يسمن ولا يغني من جوع، وكان يأخذ نصيبه من الطعام ليأكله وحده ويعود لما كان مشغولا به على انفراد للمطالعة والتبصر، فكانت تلك عادته في وسطنا الصغير الذي تعودنا عليه ولم يكن أحد منا يتحرج .

كما اتذكر أنه كان كثير الانزواء ليقوم بالمراجعة والتأمل في الكتب الصفراء المقدسة في ركن من أركان المنزل الذي كنا نقيم فيه، كما لم يكن يتطرق معنا لمحتواها لأنه لم يكن وقتها أحد فينا مؤهلا لمعرفة ذلك .

واتذكر انني ذات مرة رايتته معتكفا وحده في بيت من بيوت الدار وسط اكداس من الكتب القديمة يراجعها ويتأمل فيها، وقالوا لي انه كان يستعد ايامها للمشاركة في مناظرة للتدريس في جامع الزيتونة التي فتحت لأمثاله من حملة شهادة العالمية، وبالفعل سافر بعدها بأيام الى تونس لإجرائها ولكنه لم يوفق فيها ولم يحدثنا عن ذلك أبدا ويظهر ان السبب معروف لأنه كان من سكان الافاق والله اعلم .

لم يكن كثير الاختلاط بالعموم ولم اراه يوما جالسا في مقهى، ولكنه بالمقابل كان يجالس امثاله من المتعلمين وعدول الاشهاد وكان أكثرهم من زملائه في الدراسة .

لقد تولى مؤخرا مهنة التعليم الابتدائي بمدرسة الهداية القرآنية التي كتبت عنها في مناسبة سابقة، وعلمت منه بانه لم يكن مرتاحا كما ينبغي اذ شعر بفارق بينه وبين تلك المهنة التي تحتاج للصنعة اكثر، ولكن رفقته للمعلمين فيها وخاصة المدير المرحوم فرج جمعة يسرت عليه المهمة فاعطى فيها ما يمكن بعد النزول بمستوى الخطاب الى فهم تلامذة في المرحلة الابتدائية من التعليم .

وهكذا واصل الرسالة الى النهاية وتفتح بعد تقاعده منها وبات يلبس الجبة وعلى رأسه شاشية تونسية حمراء اللون وانخرط في المجتمع المدني وساهم مع امثاله بقدر مهم للنهوض بطبلبة، كما رايتته وقتها كيف يتحمس لأعمال البر والاحسان والتقوى ويساهم في تشييد المرافق العامة المهمة ومنها سعيه لبناء المعهد الثانوي والمستشفى المحلي .

كما تولى خطة الإمامة في الجامع الحديث بطبلبة وكان لخطبه الجمعية وقعا في نفوس المصلين حتى لم يعد ذلك المسجد يتسع للحاضرين فيه وتمت توسعته لمرات، وبذلك كوّن نخبة من المريدين والأئمة فكانوا له أوفياء الى اليوم وعلى سبيل الذكر منهم الشيخ رمضان بن ريانة امام الجامع الشرقي والشيخ فيصل بوسمة ذلك الشاب الذي يمتهن التدريس وباتت له خطبا جمعية تنقل عبر وسائل الاعلام العصرية وتعال حظا من الإعجاب والحمد لله رب العالمين وكان من بين من طلب مني الكتابة عن شقيقي، فاستجبت لذلك بما تيسر وأتمنى ان اكون صادقا وامينا فيما كتبت، ويكون للناصح حظا سعيدا لأنه من احفاد الشيخ بوسمه جده الأعلى الذي اشتهر في زمانه بالعلم والتقوى .

وأعود للموضوع وأزيد فأقول بان بيت المترجم له كان دائما مفتوحا للاستشارة والفتوى، ولكنه كثيرا ما كان يتوقف عن الجواب في حينه ليعود للكتب المختصة للتأكد، وإذا ثقل عليه السؤال كان يرأسل مفتي الجمهورية لقطع الشك باليقين وتلك صفة من صفاته التي عرفتها فيه.

وممّا بقي في الذاكرة انه لم يكن من الغلاة في الدين، وكان يؤدي صلواته الخمس منفردا وحده بالمنزل الا صلاة الجمعة لأنها فرض على المؤمنين جميعا. وكما أنني لم اره يطيل في صلواته او يتظاهر بالتفهل كما كان يصوم شهر رمضان المعظم بدون صيام التطوع، ولم يكن يأمر العائلة بشيء ولكنه كان ينصحها برفق شديد.

كما كان منضبطا في نومه واكله وغير مسرف ولا مقتر ولا يتدخل فيما لا يعنيه محترما في شخصه ومحيطه وعلى قدر كبير من التواضع. ورايته لأول مرة بيكي والدتنا يوم إخراجها من منزله لكي تدفن. تذكرتها وانا اكتب هذه الاسطر القليلة وعادت بي الذاكرة لصبر وشجاعة تلك المرأة التي ترملت صغيرة وقامت بتربيته وخدمته لآخر يوم من حياتها، انها عائشة ابنة مؤدب القران سالم خير الله الشبلي رحمة الله عليهم وعلى جميع المسلمين.

واخيرا أقول بأنني في زمن تحملي للمسؤوليات الدقيقة والعليا كنت كثيرا ما أستشير برأيه في القضايا الدينية ولم يكن يبخل عليّ بالنصيحة كما كان يرتاح لي كثيرا ويزورني وخاصة في القبروان التي كان يحن لمسجدها الأعظم ومقام سيدي أبي زمعة البلوي صاحب رسول الله عليه أفضل صلاة وازكى سلام، وذلك ما شجعني على السؤال عنه وزيارته في بيته كل مرة تسمح لي أعماله الكثيرة بالتواجد في طبلبة لأتغدى معه او اتعشى.

ولا اتذكر انه أخرجني يوما بطلب ما الا لغيره ممن يقصدونه للتدخل لهم لأداء فريضة الحج بعدما تنقطع بهم السبل وكنت أستجيب بقدر المستطاع بما يتيسر ولكن ذلك لم يقع على حساب من كنت مسؤولا عنهم من أبناء ولاية القبروان اصلا.

كما كان يوصيني دائما بالسعي لتعويض المتوفين من قراء دلائل الخيرات في مقام الولي سيدي عياش صاحب الأوقاف المؤممة من الدولة وذلك حتى لا تتعرض تلك العادة الى الزوال وتغلق تلك القبة الشهيرة.

ذلك هو الشيخ محمد بن عبد القادر بوسمة رحمه الله امام الجمعة بالجامع الحديث بطبلبة ومفتيها بإيجاز شديد قدرت انه مفيد كتبته للذكرى حتى تعرف الأجيال قيمة هؤلاء الرجال الذين نسيهم المؤرخون.

من أعلام الزيتونة:

1) الشيخ محمد الكلبوسي رحمه الله (1901-1982)

بقلم: الشيخ محمد توفيق بوديدح

هو الشيخ الفاضل التقى الورع صاحب المواعظ الحكيمة والخطب الشهيرة سيدي محمد بن علي بن الشاذلي الكلبوسي رحمه الله تعالى.

ولد بتونس العاصمة سنة 1901 بزقة سعيدة المنقرعة بنهج الصلي بمنطقة الحفاوين من ريبض باب سوقة، وبعدما حفظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية وقواعدها العامة التحق بجامع الزيتونة المعمور فاندرج في سلك طلبته إلى أن أحرز شهادتي التطويغ بنوعيهما... التطويغ في العلوم... وفي القراءات...

انتصب للتدريس بالجامع الأعظم... واجتاز المناظرات مرتقيا في الخطط التدريسية إلى أن أصبح مدرسا من الطبقة الثانية...

وقد تتلمذ في مختلف مراحل تعليمه بجامع الزيتونة المعمور إلى نخبة من خيرة علماء عصره الأفاضل ومن هؤلاء نذكر شيخ الإسلام العلامة الشهير محمد الطاهر ابن عاشور صاحب «التحرير والتوير» الذي أخذ عليه علم التفسير والعلامة الشيخ محمد العزيز جعيط درس عليه كتاب «المحلى» في أصول الفقه والعلامة الشيخ سيدي محمد الزغواني أخذ عنه علم الحديث والمفتي الشيخ بلحسن النجار والشيخ محمد مناشو والشيخ محمد ابن القاضي والشيخ عثمان المكي والشيخ محمد الجدي الذي أخذ عنه علم القراءات وتخصص في تدريسه فيما بعد... كما انتدب في الثلاثينات لتدريس اللغة العربية بالمدرسة العرفانية التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية.

وقد تولى الإمامة والخطابة بجامع «سبحان الله» المعروف سنة 1961م الموافق لـ 1380 هـ خلفا للعلامة الشيخ ابراهيم النيفر فكان يرشد المسلمين إلى الخير ويوجههم إلى العمل الصالح ويحثهم عليه والذي يكسبهم رضاء الله سبحانه وتعالى...

وإلى جانب توليه الإمامة والخطابة بجامع «سبحان الله» عين الشيخ محمد الكلبوسي إماما للتراويح بجامع الزيتونة المعمور في حدود عام 1962 واضب شيخنا المرحوم على حضور مجلس الحديث النبوي الشريف بأريانة... هذا المجلس المبارك الذي بعثه العلامة الشيخ سيدي محمد الزغواني سنة 1969 كما كان طيب الله ثراه يحرص على حضور المجلس الذي كان ينقذ بجامع الشريبات الكائن في نهج أبي القاسم الشابي بالعاصمة صبيحة يومي الاثنين والخميس... ونظرا إلى مكانة المرحوم محمد الكلبوسي العلمية فقد اختارته وزارة الثقافة ليرأس لجنة التحكيم في مسابقة تحفيظ القرآن الكريم التي تقام سنويا بعاصمة الأغالبة القيروان، بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف... فقام بهذه المهمة أحسن قيام وعلى أكمل وجه وأفضله...

توفي الشيخ محمد الكلبوسي رحمه الله تعالى يوم 14 ديسمبر 1982 عن سن تناهز الثمانين عاما قضاها كليا في أعمال البر والتقوى وتحفيظ كتاب الله العزيز...

رحم الله الشيخ الكلبوسي وأسكنه فراديس جنانه.

(2) نبذة عن حياة فضيلة الشيخ محمد علي الدلاعي رحمه الله

هو من أبرز علماء تونس الذين تفرغوا لخدمة كتاب الله و من أمهر حفاظها و كان له حظ كبير في علم الرسم القرآني حتى صار الشيخ المرجع في هذا الفن الذي يعود إليه الجميع.

تلقى الشيخ محمد علي الدلاعي العلم على يدي ثلثة من شيوخ جامع الزيتونة المعمور والذي ظل على مر العصور مقصد طلبة العلوم الشرعية يأتونه من كل مدن وقرى البلاد التونسية شمالها وجنوبها يملؤون السمع والبصر بالعلم الصحيح والرأي الحصيف والكلمة الطيبة. و من شيوخ الشيخ الدلاعي نذكر الشيخ عبد الرحمان خليف القيرواني و الشيخ عثمان العياري و الشيخ عبد الجواد البنغازي شيخ الشيخ الخطوي دغمان رحمهما الله و من شيوخ الشيخ الدلاعي كذلك الشيخ علي التريكي و الشيخ محمد العويني و الشيخ مختار المؤدب وغيرهم. جاء الشيخ محمد علي الدلاعي رحمه الله إلى جامع الزيتونة ضابطا حافظا لكتاب الله العزيز حفظا جيدا متقنا وظل محافظا عليه مستظها له عن ظهر قلب إلى آخر نفس في حياته .

نال الشيخ شهادة التحصيل سنة 1376 هـ / 1956 م، ثم نال شهادة العالمية في القراءات سنة 1379 هـ / 1959 م رفقة الشيخين المقرئين : الشيخ مصطفى الجريري و الشيخ نافع بوربيعة و بهؤلاء الثلاثة ختمت شهادة العالمية في القراءات و لم تعط لأحد بعدهم حسب دقت أسماء الناجحين من جامع الزيتونة المعمور .

رحل الشيخ الدلاعي بعد ذلك إلى مصر لمزيد التعمق و الاختصاص في علم القراءات و علم الرسم و الضبط فدرس فيها على شيخ المقارئ المصرية الشيخ عبد الفتاح القاضي و كانت له صلة بكبار المشائخ في مصر منهم الشيخ محمد علي الضباع .

خطب الشيخ الدلاعي في جامع سيدي فتح الله في جبل الجلود و أم المصلين في صلاة التراويح بجامع الحجامين بتونس العاصمة ذلك الجامع الذي تولى إمامته فضيلة الشيخ محمد الزغواني رحمه الله وأقرأ فيه كتاب الشفا للقاضي عياض و ختمه أربعين مرة .

تولى الشيخ كذلك الإشراف على لجان المراجعة والتدقيق لما يطبع ويوزع من مصاحف في البلاد التونسية، و تولى هذه المهمة وأداها عن جدارة وكفاءة عالية منذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي مع دور النشر والتوزيع الحكومية والخاصة،

كما تولى رحمه الله عضوية لجان التحكيم في المسابقات الجهوية والوطنية والدولية وكان الشيخ محمد الهادي بلحاج رئيس الرابطة الوطنية للقرآن الكريم يمتنع عن إعطاء إشارة انطلاق المسابقات القرآنية قبل وصول الشيخ الدلاعي تعظيما منه لمكانة الشيخ . من أشهر تلاميذ الشيخ الدلاعي الشيخ منصف الجواودي إمام جامع السيدة فاطمة ببومهل و من تلاميذه أيضا الشيخ محمد بن التهامي البارودي .

توفي الشيخ الدلاعي رحمه الله في الخامس من رمضان سنة 1432 هـ / 2011 م و دفن بمقبرة الزلاج بعد حياة سخرها في خدمة كتاب الله و تصحيح المصاحف و ترك الشيخ مكتبة حافلة بالكتب و المخطوطات فرحم الله الشيخ و أسكنه فراديس الجنان .

من أعلام الزيتونة :

فضيلة الشيخ : حسن الورغي رحمه الله في الذكرى العاشرة لرحيله (1933-2010)

بقلم: الاستاذ محمد العزيز الساحلي

هو المنعم فضيلة الشيخ حسن بن الحاج عبد الله بن الهادي بن محمود الورغي «المدرس» الواعظ والامام الخطيب. ولد بمشيخة القصر بالكاف في 11 ديسمبر 1933 ونشأ في عائلة محافظة متمسكة بالهوية العربية الإسلامية. وبعدما حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا تحول إلى تونس العاصمة صحبة افراد أسرته فاندرج في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور وانتقل بنجاح من سنة إلى أخرى من سنوات التعليم الزيتوني إلى أن تحصل على شهادة التحصيل ثم احرز شهادة العالمية في العلوم الشرعية تولى اثرها مهمة التدريس بفروع الجامع الاعظم ثم بالمدارس العمومية وتخرجت على يديه نخبة من التلاميذ يذكرونه ويشكرون فضله. ولقد كان الفقيه العزيز طيب الله ثراه متأثرا بمدرسة المرحوم المصلح الشيخ عبد العزيز الباوندي الذي يعتبر الرائد الأول لنشر القرآن الكريم وتحفيظه والعمل به طبق منهج اصلاحي ديني واجتماعي عن طريق الوعظ والارشاد كما ذكر ذلك صديقنا فضيلة لاستاذ عبد المجيد البراري حفظه الله في كتابه «الجواهر الحنيفة». الجدير بالملاحظة انه بالاضافة إلى مهمة التدريس فقد كان لشيخنا الفضال سيدي حسن الورغي نشاط ديني مكثف اذ التحق بجمعية المحافظة على القرآن الكريم منذ امد بعيد إلى جانب شيخه العلامة الاستاذ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله رئيس الجمعية، وما لبث أن اسس فرعا لها بباب البحر بتونس العاصمة واشرف على تكوين بعض المقرئين. كما تولى الفقيه الإمامة والخطابة بجامع «سبحان الله» خلفا لأستاذه وصهره العلامة الشيخ محمد الكلبوسي منذ سنة 1977 فقام بهذه المهمة احسن قيام لما امتاز به من دماثة اخلاق وجدية وانضباط وصدق في اللهجة لا تاخذه في الله لومة لائم مما اكسبه حب المصلين وتقديرهم لشخصه الكريم، مع حرصه طيب الله ثراه على القاء دروس فقهية واخلاقية في جامع الزيتونة وجامع سيدي محرز وجامع صاحب الطابع وجامع سبحان الله وذلك لتوضيح أحكام ومبادئ الاسلام السمحة على مقتضى العقيدة الاشعرية والمذهب المالكي المعتدل. ومما تجدر الاشارة اليه أن صديقنا العزيز فضيلة الشيخ حسن الورغي اسس في غرة نوفمبر 1990/13 ربيع الثاني 1411 مدرسة عمر بن الخطاب لتعليم القرآن وترتيله بسكرة وسمي مديرا لها. وتلبية لدعوة كريمة صادرة من فضيلته ساهمت في الزيارة التي اداها سنة 1998 وفد من الاساتذة والشيخوخ الافاضل يتقدمهم شيخنا الجليل المنعم فضيلة الاستاذ محمد المكاوي (المشرف على بيت الحديث الشريف باربانية) إلى هذه المدرسة القرآنية التي تمثل منارة علم واشعاع في بلادنا. فوجدنا في انتظارنا مدير المدرسة الذي رحب

بنا اجمل ترحيب ثم رافقنا إلى مسجد المدرسة الذي كان مكتظا بالتلاميذ فقدم اليينا في البداية معلومات عن تاريخ هذه المدرسة التي تم تدشينها في 1 نوفمبر 1990 ويتمثل دورها في تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية إلى الناشئة وقد تخرج منها عدد كبير من حفاظ كتاب الله العزيز من التونسيين وغيرهم من المسلمين وحظي هذا المشروع بالدعم والتشجيع من قبل أهل البر والاحسان. ومما يبعث على الاعتزاز اننا نجد إلى جانب الشبان التونسيين تلاميذ من بعض البلدان الافريقية الشقيقة الذين يقضون في هذه المدرسة ثلاث سنوات يحفظون اثناءها القرآن الكريم حفظا جيدا ثم يلتحقون ببلدانهم لينيروا الطريق لآخوانهم المسلمين.

وبعد وفاة شيخنا سيدي حسن الورغي تواصل الاشعاع الديني لهذه المؤسسة الرائدة والله الحمد وسمي صديقنا العزيز فضيلة الشيخ محمد مشفر حفظه الله مديرا لها فكان خير خلف لخير سلف مستعينا في تسيير شؤون المدرسة بالابن البار للمؤسسة السيد محمد بلال الورغي وبعض المدرسين جازاهم الله كل خير، مصداقا للحديث النبوي الشريف: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري

توفي فضيلة الشيخ حسن الورغي في 26 فيفري 2010م الموافق ليوم المولد النبوي 12 ربيع الانور 1431 هـ رحمه الله رحمة واسعة وحشره مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله كل الاسباب تجمعت للمسلمين كي يتسنموا الذرى

كم هي الأسباب التي جمعت بين أيدي المسلمين في عصرنا الحاضر لتجعلهم يتسنمون الذرى ويختصرون الأبعاد و يلتحقون بالجحافل الزاحفة صوب السماء ، فهم وحدهم الذين يحتفظون بالخصب في كل مجالات الحياة : فأرضهم تزخر بالخامات وتعج بالذهب الأسود و مواقعهم الجغرافية تمثل الثغور الحصينة في كل مكان وتراثهم الروحي احتفظ وحده دون أي تراث آخر بالنصاعة والسلامة والإشراق ولم تستطع أية يد آثمة أن تعبت به أو تبدل نصوصه الخالدة التي احتفظت بيريقتها السماوي وإعجازها الإلهي.

عُقبه بن نافع الفهري / ولايته الأولى والثانية على إفريقية

بقلم : الاستاذ عبد الوهاب الجمل

هو عقبه بن نافع بن عبد القيس الفهري، وُلد قبل الهجرة بسنة ونشأ في بيئة إسلامية خالصة، لذلك اعتُبر صحابياً بالمولد، وهو على قرابة بعمر بن العاص من ناحية الأم، وقيل إنه ابن خالته. شارك منذ شبابه في الفتوحات الإسلامية في عهد عُمر بن الخطاب، وأبلى البلاء الحسن في فتح مصر والسودان والنوبة، ثم عُين قائداً لحامية برقة خلال عهدَي عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب. ويُذكر أنه اختار الحيات التام خلال الفتنة الكبرى التي وقعت بين خليفة المسلمين، علي بن أبي طالب، وواليه علي الشام، معاوية بن أبي سفيان، مُكرِّساً جُل مجهوداته واهتماماته للجهاد ونشر الإسلام.

سار الصحابي عقبه بن نافع الفهري نحو إفريقية سنة 670 م / 50 هـ، وعمره خمسون سنة وفي جرابه تجربة حربية وقيادية راسخة، على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، يتقدمهم ما لا يقل عن خمسة وعشرين من صحابة النبي، إلى إفريقية، مقراً العزم - علي خلاف من سبقه إليها - أن يستقر بها وألا يعود إلى المشرق بعد الغزو، فخطب في مَنْ معه من الصحابة وقادة الجيش والجنود قائلاً: «إن إفريقية، إذا دخلها أمير تحرّم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها، رجعوا إلى الكفر. وإني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكراً وقيروانا تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر». وهكذا، «رأى عقبه أن أحوال إفريقية لا يمكن أن تستقر للعرب إلا إذا أنشؤوا لهم مركزاً قاراً بها ومعسكراً يخرجون منه لفتح بقية المغرب».

كانت النيّة متجهة في أول الأمر إلى بناء مدينة على ساحل البحر لتتوفر بها ظروف الجهاد والرباط، لكن عقبه بن نافع خشى من هجوم ملك القسطنطينية عليها، فجعل «بينها وبين البحر ما لا يدركه صاحب البحر، على أن تكون المسافة الفاصلة لا توجب التقصير للصلاة»، كما اختار ألا يحتك بالمناطق الداخلية الغربية تجنباً لاستفزاز القبائل البربرية المقيمة بها، فيأذن بتشبيد المدينة بمنطقة «قمونية»، وفضل إقامتها على أرض محاذية للسبخة لأنّ جل دوابّ جيشه كانت من الإبل فتكون لها مرعى، وسمّاها «القيروان» - كان ذلك سنة 671 م / 51 هـ - واختار بنفسه موقع دار الإمارة بها ورسمها ومكان الجامع الأعظم وموضع المحراب، ثم لما أنهى بناءها، أقبل يدعو لها ويقول: «يا رب املأها علماً وفقها، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزاً لدينك وذلاً على من كفر بك، وأعز بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض». وقد سُجّل منذ اختيار موقع هذه المدينة وتشبيدها اختلاف «في لغة العرب في لفظ القيروان، فقول هي موضع اجتماع الناس والجيش، وقيل محط أثقال الجيش، وقيل هي الجيش نفسه، والمعنى متقارب». على أن متطلبات بناء القيروان لم تشغل عقبه عن أداء الرسالة التي أتى من أجلها إلى هذه الربوع النائية عن موطنه الأصلي، فأرسل فرقاً وكتائب من جنده إلى مناطق عديدة من إفريقية لفتحها ونشر الإسلام فيها، مُتبعاً سياسة حازمة تجاه السكان الأصليين البربر ليعتقوا الإسلام، وأخرى مرنة تجاه المحتلين الروم لكي لا تكون له معهم مواجهات دامية يعلم هو مسبقاً أن توازن القوى فيها منعدم، على الأقل في تلك الفترة.

وفي سنة -674 675 م / 55 هـ، عزل معاوية بن أبي سفيان واليه على مصر، معاوية بن

حديج، وعين مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري، فأسرع هذا الوالي الجديد، حال استلامه مصر، إلى عزل عامل إفريقية، عقبه بين نافع، مُعتمداً في اتخاذ قراره على جملة من المآخذ، منها اتهامه بالانشغال أكثر من اللزوم بتشديد مدينته، القيروان، على حساب نشر الإسلام بربوعها، ومنها أنه كان يعتبر أن الصبغة العسكرية كانت طاغية على نظام حكمه، ما جعله ينعى مواقفَه تجاه قادة البربر ومعاملاته لهم بالمتصلبة، وأخيراً اعتبره بأن بعض الحملات والغزوات التي يقوم بها ابن نافع ليس لها أي موجب. غير أن الدوافع الحقيقية التي كانت وراء هذا العزل هي غير ما ذكر، ذلك أن مسلمة كان أولاً غير مرتاح لما اعتبره كبرياءً وأنفةً في مزاج عقبه وتصرفاته، إذ كان يعتقدُ جازماً بأن والي إفريقية ليس قابلاً لسُلطته عليه وأنه غير راضٍ بتبعية القيروان لمصر، وثانياً كان عاقداً العزم على مكافأة أحد مواليه، وهو أبو المهاجر، قائلاً: «إنَّ أبا المهاجر كأحدنا، صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نيل، فنحن نحبُّ أن نكافيه ونصطنعه»، لذلك عينه والياً على إفريقية والمغرب.

أبو المهاجر دينار

عين مسلمة بن مخلد الأنصاري - والي معاوية بن أبي سفيان على مصر - أبو المهاجر دينار عاملاً على إفريقية سنة 674-675 م / 55 هـ مكافأة له لوقوفه إلى جانبه أيام الشدة كما ذكر آنفاً، وذلك رغم علمه بأن عقبه كان من خيرة الولاة وأنَّ له الفضل في بناء أول قلعة إسلامية بربوع إفريقية البربرية، فقدم العامل الجديد إلى القيروان مقرّاً العزم على مواصلة الفتوحات والأعمال التي شرع فيها سلفه عقبه وعلى تجنب المصادمات الدامية مع البربر قادةً وسكاناً، ولكنه كان في ذات الوقت مصمماً على أخذ ثأره من عقبه، الذي لم تكن تربطه به علاقات ودٌّ، فوصل إفريقية وفي قلبه نعمة وحقد عليه، فأساء معاملته وحبسه ولم يطلق سبيله إلا بإذن من معاوية بن أبي سفيان، ثم رفض اتخاذ القيروان مقرّاً لولايته وأمر بحرقها وبنائها مدينة أخرى «في منطقة ذراع التمار اليوم»، وسمّاها «تكروان» أو «تيكروان»، وهذه التسمية «مشتقة من اللغة البربرية، وهي تحريف من اسم القيروان بزيادة التاء في أوله - وهي عادة التعريف عندهم - وقد عوضت القاف بالتاء لعدم وجود هذا الحرف في لسان البربر»، وقد تكون سميت «دكرور» أو «تاقروان».

عاد عقبه بن نافع الفهري بعد إطلاق سراحه إلى الشام، ودخل على معاوية ليرفع الأمر إليه فتفهم شكواه وأسف لما حصل له، لكنه، بحكم علاقته بمسلمة واعترافه له بالجميل وشعوره بدين أدبي نحوه لوقوفه إلى جانبه أيام المحنة، اكتفى بأن طلب من عقبه التجلد والصبر. ومن ناحيته انصرف أبو المهاجر إلى الجهاد والفتح وبادر إلى توسيع رقعة نفوذه، فنظم غزوتين كبيرتين، كانت الأولى في اتجاه غرب إفريقية، وتحديدًا إلى منطقة «المغرب»، الممتدة من غرب قسنطينة إلى المحيط الأطلسي، والمحتوية على منطقتي «المغرب الأوسط»، الذي يطابق تقريباً البلاد الجزائرية الحالية، و«المغرب» - أو «المغرب الأقصى» - وهو الجزء الذي يغطي حالياً المملكة المغربية والصحراء الغربية والجهة الشمالية من موريتانيا. وقد وصل أبو المهاجر في غزوته الأولى هذه إلى تلمسان وفتحها وحضر غير بعيد عنها آباراً بقيت إلى الساعة تحمل اسمه، ثم اتخذ من مدينة بسكرة مركزاً لتحركاته وعملياته، ومن هناك قصد التخوم الجنوبية من الأوراس متجهاً نحو مدينة ميلة، وتمكن رغم دفاع البيزنطيين عنها من اقتحامها واحتلالها، فشيّد بها

مسجداً، ثم واصل سيره حتى جبال الونشريس وأخضع قبائلها. وبينما هو في تلك الجبال الوعرة، إذ بلغت إلى علمه أخبارُ قُدومِ جموع هائلة من الفرسان والجنود أعدَّهم الأمير الأمازيغي «كسيلة الأوربي» في نواحي تلمسان بعد إبرام حلف مع بقايا البيزنطيين والروم لقتال المسلمين، فأسرع على رأس جيش يضم عناصر عربية وافدين من المشرق وعدداً من الأمازيغ الذين اختاروا الانضمام إليه، ونزل بالمكان وضرب حصاراً على معسكر عدوّه، ودارت بين الفريقين معركة حامية سقط فيها العديد من القتلى وانتهت بانتصار أبي المهاجر دينار وبسقوط الثائر كسيلة أسيراً. وممَّا يُذكر بخصوص هذه الحرب أنّ أبا المهاجر لم يتردّد في معاملة عدوّه البربري السجين معاملة حسنة، إذ امتنع عن الإنتقام منه وعفا عنه وأطلق سراحه، بل إنه زاد على ذلك بأن اتَّخذه صديقاً شخصياً له، وقيل أدخله في الإسلام وجعل منه حليفاً للمسلمين. ولعلّ أبا المهاجر أراد بهذا التصرف أن يُقرب بين الأمازيغ والعرب ويجعلهم متحالفين لمقاومة خطر الاحتلال البيزنطي لإفريقيّة والمغرب. كانت غزوة أبي المهاجر الثانية في اتجاه قرطاج البيزنطية، حيث كانت له مع أهلها معارك ضارية كثر فيها القتلى من الجانبين، ثمّ أبرم معهم صلحاً مقابل أن يتركوا له جزيرة أبي شريك، «الوطن القبلي» حالياً، التي أرسل إليها جيشاً بقيادة حنش الصنعاني، فأخضعها ونشر بها الدعوة الإسلامية. وقد أظهر أبو المهاجر دينار من خلال هذا الصلح أنه لم يكن يرغب في كسب الغنائم والسبايا فحسب، وإنما كان هدفه وضع رجله في موقع استراتيجي على ساحل البحر يكون للمسلمين الفاتحين مرصداً وقلعة لحماية إفريقيّة من غارات الروم البحرية المفاجأة.

على أنّ فتوحات أبي المهاجر الهامة وعزمه الراسخ على «إقامته بالمسلمين في إفريقيّة واتخاذها منزلاً لا يغادرونه» إلى المشرق وتثبيت أركان الفتح العربي الإسلامي في هذه الربوع النائية عن مصر والشام، هي عوامل لم تكن كافية لمنحه الفرصة لمواصلة مهمّته، ذلك أنّ السلطة المركزية في دمشق لم تتوان في اتهامه بسوء التصرف وبالتسبب في نقصان حجم الغنائم وتقليص مداخل الولاية نتيجة مرونة تعامله مع السكان الأصليين لإفريقيّة فقررت عزله.

بقيت إفريقيّة على حالها هذا إلى ما بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، ثمّ قدم إليها بأمر من ابنه يزيد عبّبة بن نافع الفهري سنة 681 م / 61-62 هـ في ولاية ثانية، وذلك بعد حوالي سبع سنوات من خروجه منها.

عودة إلى عبّبة بن نافع الفهري / ولايته الثانية

آلت الخلافة في المشرق في ربيع سنة 680 م / 60 هـ إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فأعاد لعبّبة ولاية القيروان سنة 681 م / 62 هـ، قائلاً له: «أدركها قبل أن تقسد». فانطلق عبّبة قاصداً القيروان على رأس جيش به خمسة وعشرون ألف مقاتل ومراً بمصر، فلقبه مسلمة بن مخلد وقدّم له الاعتذار عمّا صدر عن مولاة أبي المهاجر دينار، «فقبل عبّبة - بل تظاهر بالقبول - ومضى سريعا لحنقه على أبي المهاجر حتى قدم إفريقيّة».

وصل عبّبة بن نافع إلى القيروان وبادر حال دخوله إليها بأخذ ثأره من سلفه وخصمه أبي المهاجر، فاعتقله وصادر كل ما كان معه من المال وأمر بتخريب مدينته وسجن صاحبه

كسيلة الأوربي، ثم لما استتبَّ له الأمر وعلم بأن المقاومة البربرية في المناطق الصحراوية وفي الجبال قد نظمت صفوفها وأصبحت صعبة المراس، قرَّر معالجة المسألة بما يتعين من الحزم والعزم، فعين زهير بن قيس البلوي قائداً لجيش القيروان ومعه ستة آلاف من المقاتلين، وأوكل إليه مهمة منع الهجمات عليها، ودعا أولاده ليقول لهم: «إني قد بعث نفسي من الله عز وجل، وعزمتُ على من كفر به حتى أقتل فيه وألحق به، ولست أدري أتروني بعد يومي هذا أم لا، لأنَّ أمني الموت في سبيل الله»، ثمَّ عزم على التحرك بنفسه على رأس جيش به ما لا يقل عن عشرة آلاف فارس للغزو والفتح، حاملاً معه السجينين، أبا المهاجر وكسيلة، مكبلين بالأغلال. فاتجه ناحية قسطيلية ثم إلى باغايا ومنها إلى تلمسان ثم إلى منطقة الزاب ومنها إلى تاهرت (تيارت حالياً)، معقل قبائل لواتة وهوارة وزواغة ومطماطة وزناتة البربرية. ثم غزا طنجة التي لجأ إليها جزء من البربر المنهزمين، فهادن واليها بلبان أو بليان، ملك غمارة، ثمَّ سار نحو السوس الأدنى، معقل قبيلة مصمودة، ثم السوس الأقصى، إلى أن وصل إلى المحيط الأطلسي. على أن العديد من المؤرخين المتأخرين يشككون في صحة خبر وصول عقبة بن نافع إلى حد شاطئ المحيط الأطلسي، معتبرين أنه إنما وصل إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، لا غير.

وقف عقبة بن نافع على الشاطئ ورفع يديه إلى السماء وقال: «يا رب، اللهم أشهد أنني قد بلغت المقصود، ولولا هذا البحر، لمضيت في الأرض أقاتل من كفر بك حتى لا يُعبد أحد من دونك»، أو «لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين، مدافعاً عن دينك، مقاتلاً من كفر بك». ثم قفل راجعاً إلى السوس وغزاً بلاد صنهاجة وهسكورة وغيرها من المناطق البربرية، إلى أن حط رحاله بموضع يقال له «أطار» - شمال بلاد شنقيط، موريتانيا حالياً - فدعا أهله إلى الإسلام فامتنعوا وفرُّوا هرباً. وتؤكد بعض المصادر على أن هذه المنطقة كانت آخر المعاقل البربرية التي قاتلته، وقد يكون مرَّ منها إلى ما يُعرف الآن بإفريقيا السوداء أو بما وراء الصحراء لنفس الغرض قبل عودته إلى إفريقيَّة .

في طريق عودته إلى القيروان، وتحديدًا بمدينة يُقال لها «تهودة» أو «تهودا» أو «تهودة»، واسمها الروماني «أ» أو «»، وهي واحة صغيرة تقع في حدود الصحراء على مصب الوادي الأبيض على بعد 20 كلمترا جنوب شرقي بسكرة، صدر عنه خطأً استراتيجي فادح قضى عليه وعلى مرافقيه. فلقد اتخذ عقبة قراراً يتمثل أولاً في تقسيم جيوشه إلى ثلاثة فيالق منفصلة عن بعضها البعض ليدخلوا إلى إفريقيَّة أفواجا، وثانياً في بقائه هو على رأس كتيبة قليلة العدد، هذا بالإضافة إلى أمرين اثنين يخصَّان تعامله مع كسيلة الأوربي، الأوَّل هو تعمُّده إهانته بشتَّى الطرق وفي عديد المناسبات رغم علمه بمكانة الرجل بين قومه الذين كانوا يهابونه ويعظمونه ورغم تنبيه أبي المهاجر وتحذيره له من مغبة هذا التصرف ومن ردة فعل كسيلة وعشيرته عندما تحين لهم الفرصة، قائلاً له: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب، وأنت تعمد إلى رجل جبار في قومه بدار عزة، قريب عهد بالشرك، فتفسد قلبه! (أو تهينه)». الأمر الثاني هو تغافله عمَّا كان يُخطط له كسيلة البربري الذي كان يُرسل المعلومات - رغم أنه كان أسيراً - إلى أبناء عشيرته وإلى الرُّوم ويتلقى منهم الأخبار والإرشادات، منها تلك المتعلقة بتقسيم جيش عقبة إلى كتائب ومجموعات عدد جنودها قليل وعُدَّتْها محدودة. فكانت النتيجة أن وقع

وجيشه في كمين نصبه له الروم بتواطؤ مع كسيلة، الذي كان بالأمس حليفا للمسلمين ضد الروم والبيزنطيين كما سلف الذكر، فجرت بالمكان معركة ضروس بين جيشه وجيش التحالف الرومي البيزنطي البربري، فكانت الغلبة فيها للروم والبربر، وقتل عقبه قرب مدينة تهودة المذكورة، كما قتل ثلاثمائة من مرافقيه، وفي مقدمتهم كافة القواد والأشراف والموالي، وقتل أبو المهاجر دينار، وقد كان عقبه فك وثاقه قبل ذلك ولم يعمل بنصيحته. وتقول بعض المصادر بخصوص هذه الهزيمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد تنبأ بما تحمله مدينة «تهودة» من نحس وسوء طالع على الفاتحين، كما تنبأ بانهزام عقبه بن نافع واستشهاده فيها بقوله: «سوف يُقتل بها (أو عليها) رجال من أمتي، مجاهدون في سبيل الله تعالى، ثوابهم كثواب أهل بدر وأحد، ما بدلوا ولا غيروا، يأتون يوم القيامة وسُيوفهم على عواتقهم. وا شوقاه إليهم!» وقد دُفن عقبه بن نافع بعد هذه المعركة في واحة تقع غير بعيد عن بسكرة، ولا يزال قبره معروفا بها.

تسببت هذه الهزيمة النكراء التي حدثت سنة 684 م / 64 هـ في كارتئين اثنتين، تَمَثَّلت الأولى، وهي عسكرية، في سقوط القيروان واحتلالها من قبل الجيوش البربرية بقيادة كسيلة بعد فرار الجيش العربي إلى المشرق ولجوء قائده زهير بن قيس البلوي إلى برقة مع أهل بيته وبعض جنده، هذا إضافة إلى سقوط مناطق ومدن أخرى متعددة في أيدي البربر، مثل جزيرة أبي شريك، التي فرَّ منها حنش الصنعاني ولاذ هو كذلك ببرقة، وغيرها. أما الكارثة الثانية، وهي سياسية وحضارية، فتمثلت في تعطيل حركة انتشار الإسلام في جميع أرجاء إفريقيا والمغرب لفترة لا تقل عن خمس سنوات كاملة كادت المنطقة خلالها تعود إلى ما كانت عليه أيام عمر بن الخطاب. وهكذا اعتبرت مأساة تهودة أقسى ما مُني به المسلمون من الهزائم في ذلك الوقت، إذ لم تُسجَل الفتوحات الإسلامية في بقية الأرجاء وإلى حدِّ التاريخ هلاك جيشه بأكمله وارتداد أفواج هائلة من معتنقي الإسلام، و«خرجت إفريقيا - في ربيع سنة 684 م / 64 هـ - من أيدي العرب لأول مرة بعد أن احتل البربر القيروان وأقاموا دولة بربرية في جنوب إفريقيا، بينما كان الروم محتفظين بشمالها ومتحصنين في قرطاج وبقية المراكز المحصنة». على أن بعض المؤرخين المتأخرين من غير أبناء المنطقة المغاربية يقللون من وقع هذه الهزيمة ومن هولها، مُعللين حكمهم بأن إفريقيا، وإن خرجت من أيدي الجيش العربي، فإنها لم تخرج عن ملة الإسلام، مُعتبرين أن لا أدل على ذلك من أن عددا هائلا من القبائل البربرية قد أسلمت تلقائيا وبقيت على دينها الجديد، مؤكدين أن فرار زهير بن قيس، قائد حامية القيروان، ومن نجا من جنده إلى برقة، إنما هو في الحقيقة حيلة تكتيكية تتمثل في عملية كرف و فرَّ ستمكن العرب لاحقا من الثأر من كسيلة ومن البربر عموما .

رفض الجبريد مطلقا موت وانتحار والتهافت على كل جديد طيش ورعونة

بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

لقد قال الاقدمون اقوالا كثيرة جرت مجرى الامثال المضروبة والحكم الخالدة التي تنطبق على جميع الاحوال المشابهة وتصدق في كل مقام يقتضيها، ومن اروع واصدق ما قاله الاولون (الشيء اذا بلغ إلى حده انقلب إلى ضده) ان هذه الجملة القصيرة لتحتوي على المعاني الغزيرة الجمّة وتصلح أن تكون معيارا يقيس عليه الناس اعمالهم واقوالهم حتى يتجنبوا الوقوع في كثير من الازغاة التي يسببها التغالي والمبالغة، واننا اذا ما اردنا ان نحصي الخيبات التي نمى بها في حياتنا فسوف نجد جزءا كبيرا منها قد سببه لنا تهورنا وازغافتنا ومبالغتنا، تلك الازغافات والمبالغات التي نفقد بسببها توازننا العقلي وتصبح احكامنا مرتجلة طائشة لا سلطان للعقل عليها لأنها محظ عواطف جامحة هي إلى الصبيانيات اقرب منها إلى اي شيء آخر، وما ضل الناس منذ وجد الضلال والهدى إلا عند إفراطهم وتفريطهم غير ان الضلال الذي يجيء من وراء التفريط يلحظه جميع الناس، ويلوم عليه القريب والبعيد والصديق والعدو واما الضلال الذي يجيء نتيجة الافراط فلا يهتدي إلى سببه إلا الراسخون في العلم ولا تظهر آثاره غالبا إلا بعد فوات الفوت.

وان الأمة الإسلامية التي قامت من كبوتها ما تزال إلى اليوم متارجحة بين افراطها وتفريطها لانك تجد طوائف منها غير قليلة معتصمة بالرفض التام ومتخوفة حتى من الاوهام فهي ترى كل شيء جديد بدعة مستحدثة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ومن اجل هذا تفضل التخلف الذي تستعير له اسما مزيفا فتسميه المحافظة تفضله على اي نوع من انواع التجديد والتطور وبجانب هذه الطوائف الجامدة الميتة توجد طوائف اخرى هي اشد منها خطرا وضررا وهي التي اتخذت الافراط في التقديمية والتعصر مذهبها لها فخلعت عليه اجمل النعوت وابدعها اذ تسميه تارة بالمرونة وتسميه تارة بالتطور وطورا تجعله هو الحياة فيقولون لصاحبه فلان حي عكسه الجامد او الميت من المبالغات الممقوتة التي تضيع الجوهر وتكتفي بالعرض والقشور.

ولو فكر هؤلاء واولئك لعرفوا أن خير الامور اوسطها، وان الجمود ورفض الجديد مطلقا موت وانتحار، وان التهافت على كل جديد مهما كان لونه ونوعه طيش ورعونة وهو الافراط بعينه، ذلك الافراط الذي يصل بالشيء إلى حده فينقلب حتما إلى ضده.

وفي اغلب الظروف والحالات تكون طوائف أهل الافراط متغلبة على طوائف أهل التفريط لان التفريط شيء سلبي واصحابه كثيرا ما يكونون سلبيين، ولان الافراط مبالغة في الايجابية إلى درجة الاحتراف، واهله كثيرا ما يكونون ثوريين يحرقون ويحترقون.

وان الطبيب الماهر اذا وجد جسما مصابا بعدة علل لابد ان يوجه عنايته إلى اخطر الادواء اولا حتى يعيد للجسم فعاليته ويبعث ما فيه من جراثيم صالحة قد هزمت او نامت لتساعد الدواء وتستأنف نشاطها ومقاومتها لجراثيم الداء .

كذلك نحن اذا ما اردنا اصلاح اوضاع مجتمعنا الاسلامي فما علينا إلا أن نوجه عنايتنا إلى الخلايا المتحركة من الأمة لنرى طوائف الشباب الذي اصبح بعض ادبائنا يسميه بالشباب الرافض، ولمن يسميه بهذه التسمية الف حق، لان الرفض ابرز ظاهرة من ظواهره فهو لا يقبل أية نظرية قيل له انها قديمة كيفما كانت حالة قائلها ولو كان معصوما يبلغ العلم عن ربه، وان هذا لهو اخطر نوع من انواع الافراط لانه عناد ومكابرة وجهل مركب، ولانه غرور وتقطع.

فلماذا لا يحكم الواحد منهم عقله؟ ولماذا يتفتى عن نفسه وعن امته ورجالاتها، وعن قيمه الخالدة الموروثة التي لو تأمل مليا لراى الذين فتن بهم قد استعاروها من اهله وذويه؟

يذكرني كل هذا بما سمعته اخيرا من نقاش دار بين اساتذة محترمين حول موضوع تمثيل شخص الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فقد احتج من يؤيد تمثيله بتمثيل المسيحيين لشخص عيسى عليه السلام، فاجيب بجواب مفحم هو ان المسيحيين ليسوا حجة علينا لانهم لم يمثلوا عيسى فقط بل عبده، ونحن يابى علينا ديننا ان نمثل محمدا صلى الله عليه وسلم لان من سيمثله هو دونه في كل شيء ولا ان نعبده لانه هو دون ربه في كل شيء وان المقارنة بين المسيحية والاسلام لا يمكن ان تصح في شيء . لان الإسلام دين ودولة ونظام ودنيا وآخره، وهو الدين الوارث والجامع والناسخ لم يترك شيئا مما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم إلا سلط عليه الاضواء وادلى فيه بالقول الفصل، واتى فيه بما يشفي الغليل فاذا جهله اهله او تجاهلوه فليس الذنب ذنبه بل هو ذنب اهله المقصرين او المتارجحين بين إفراطهم وتفريطهم .

نحن محتاجون اليوم لاخذ كل علم وكل صناعة وكل فن عن امم سبقتنا في هذا المضمار ولكننا نضر بانفسنا اذا حاولنا ان ناخذ عنهم المبادئ والاخلاق والتشريع وجميع ما يرجع إلى ضبط العلائق البشرية سواء في ما يرجع إلى علاقة الإنسان بالإنسان او علاقة الإنسان بربه او علاقته بنفسه لان ديننا في هذه الاشياء جمع فاوعى واتى بما لا زيادة فيه لمستزيد فلنحیی مواته ولننشر تراثه فانه الغني الذي لا غنى قبله ولا فقر بعده ومن تمسك به لن يضل ابدا .

فهرسة مؤلفاتي المطبوعة باللغة العربية

بقلم : الاستاذ صالح العود - فرنسا

ألح عليّ المفكرّ الجليل، والاستاذ النبيل: السيد محمد صلاح الدين المستاوي يحفظه الله تعالى، مدير ورئيس تحرير مجلة (جوهر الاسلام) الفراء، أن أطلع السادة القراء على ما وضعته من مؤلفات: دينية... وعلمية... وفكرية... وتعليمية... وتاريخية... وفي السيرة النبوية والشمائل المحمدية، وفي تراجم الأئمة والأعلام، وفي اللغة والادب والشعر، وشؤون المرأة، والنوازل والمسائل الفقهية وغيرها.

والحقيقة أن الامام وحصر المطبوع منها- خلال اربعين عاما من الصدور والظهور- ليس هينا ولا سهلا، ولكني استجبت له في النهاية، مستعينا بمدونتي التي أقيّد فيها كل مطبوع ولو رسالة قصيرة، كنت افعل ذلك للتاريخ، لأن من سيأتي بعدي قد لا يستطيع الوصول إلى معرفتها، أو الاهتداء إلى اسمائها وتاريخ صدورها، ولو كان نجلا أو حفيدا، أو تلميذا مقربا، وهو ما كان يبينه لي الاستاذ المستاوي حين طلبه، وذلك واضح وضوح الشمس، ولنأخذ مثالا على ذلك، وهو الإمام السيوطي رحمه الله- وأنا اقل منه شأنا ومنزلة- فقد تنافس في حصر كتبه المؤرخون، واضطرب في اسمائها وعناوينها وتحديدها الكُتاب والمترجمون، وفي النهاية ذهب كل إلى وجهته. فآله المستعان، وعليه التكلان، واليك أخي القارئ... اختي القارئة، هذه «الفهرسة» الاولية، على الحروف الهجائية، وان شاء الله في مستقبل الأعوام، -ان كان في عمري بقية- سوف اقيّد أكثر من هذا، فإن طبع كتبي واخراج مؤلفاتي لا يزال ساريا حسب استعداد دور النشر في كل مكان بعد عرضها عليها، وقد أدخل معها كذلك «المخطوط» منها، فان لي في ذلك رصيذا محمودا والحمد لله..

وللتبويه فقد استبعدت فقد صدر لي بغير العربية، في سائر اللغات الاجنبية: (كالفرنسية، والايطالية، والانجليزية، والاسبانية) وغيرها.

1. احكام الذبائح في الاسلام وعند أهل الكتاب والاوروبيين حديثا 2. احكام الصيام وفضائل رمضان 3. اخلاق الاسلام: منهج وسلوك 4. اربعون حديثا في الدعوة والداعي
5. الاساس في العقيدة وفقه العبادة 6. الاسلام شريعة الله الخالدة... محاسن ومعالم
7. الاعلام بمن اعتنق الاسلام 8. الامتناع عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية أو الاعجمية بادلة الكتاب والسنة والاجماع 9. أناشيد للاطفال 10. انت تسال والاسلام يجيب 11. الانسان والايمان 12. بهجة الودود بتسمية المولود 13. مختصر تاريخ الاسلام
14. تاريخ الاسلام في فرنسا بين الماضي والحاضر 15. تاريخ القرآن الكريم كتابته وجمعه وتوثيقه من عهد الرسالة الخالدة إلى عصر الخلافة الراشدة 16. التجويد قواعد واحكام 17. تحبير الكلام في شرح حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم 18.
- تحريم كتابة القرآن الكريم بحروف غير عربية: أعجمية ولاتينية 19. تسهيل الصرف

20. تشنيف الأذان بتعريف كتب تعليم الصبيان في المساجد والمدارس والجمعيات وكل مكان 21. تنوير الاذهان في الرد على من حرف القرآن وكتبه بحروف غير عربية 22. التهجي من الالف إلى الياء 23. التوجيه الاسني بنظم الاسماء الحسنی للامام الدردير/ تحقيق وتعليق وتقديم 24. التوعية الصحية في الاسلام 25. الجبن الاروبي كيف يصنع؟ مع بيان حكمه شرعا 26. جواهر من الأحاديث النبوية.. في العقيدة والعبادة والاخلاق 27. الحج إلى بيت الله الحرام: نعمة وحكمة 28. الحج في الاسلام اسرار ومقاصد 29. حكم الهجر والقطع بين الحلال والحرام في الشرع 30. خلاصة البيان في حكم اكل الاجبان 31. خلاصة الكلام في أحكام الصيام 32. الخلاصة النقية لسيرة النبوية: من الولادة إلى الوفاة 33. دراسة فقهية في سبيل توحيد الصيام والافطار في فرنسا 34. دروس التربية الإسلامية 35. دروس التهجي 36. الرسم النظيف 37. رمضان هذا الزائر الكريم 38. الروائع المنورة من السيرة والشمال النبوية المعطرة 39. السر القدسي في فضائل ومعاني آية الكرسي 40. سيرة الخلفاء الراشدين 41. سيرة الرسول للاطفال من كل الاجيال 42. سيرة المصطفى محمد أعظم الرسول صلى الله عليه وسلم 43. الصلاة في الاسلام معراج المؤمن 44. صناعة الاجبان الحديثة وحكم اكلها بأدلة الكتاب والسنة ونقول الائمة واقوال علماء الامة 45. الصيام في الاسلام 46. طلب العلم فريضة 47. علماء الاسلام في إندلس للشيخ محمد الخضر حسين/ تحقيق وتعليق وتقديم 48. فصل الخطاب في مسألة (النقاب) 49. القراءة الصالحة/ للسنة الثالثة الابتدائية 50. القراءة الصالحة/ للسنة الرابعة الابتدائية 51. القراءة الصالحة/ للسنة الخامسة الابتدائية 52. القراءة الميسرة (المستوى الثالث) 53. كتابة النص القرآني بالحرف اللاتيني خطر داهم على المصحف العثماني 54. مائة حديث من اوثق مصادر السنة ومسانيد الائمة 55. المبادئ الاساسية للناشئة الإسلامية في العقيدة والعبادة والتلاوة 56. متى نصوم ومتى نفطر؟ بحث حول رؤية الهلال واثبات رمضان 57. مجموعة اذكار وادعية مع ابتهالات وصلوات 58. المحادثة العربية (دوس لفهم والتعبير والتطبيق) 59. محاضرات علمية: القيت على طلبة المعهد العالي في الموسم الدراسي 60. المحفوظات المختارة/ للسنة الثانية ابتدائي 61. المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد / (الجزء 30): جزء تبارك 62. المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد / (الجزء 29): جزء عم 63. المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد / (من الجزء 28 إلى الجزء 25) 64. المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد / (من الجزء 24 إلى الجزء 22) = ربع ياسين 65. المصحف المدرسي (جزء عم وتبارك) / اشراف وتوثيق 66. معرفة الاسلام وشعائره 67. مقدمة الوصول إلى معرفة علم الاصول 68. المنتخب من ادب العرب 69. المنهج والكتاب في تعليم الاولاد في الكتاب 70. موسوعة اعلام من الحاضر في تراجم رجال القرن الخامس عشر الهجري 71. نظام الحياة الزوجية في الشريعة الإسلامية 72. الهجرة النبوية أعظم حدث في تاريخ الاسلام: (دروس قيمة...

- وتأملات) 73. الواعي شرح (عشرين حديثاً) في الدعوة والداعي 74. مختصر مقدمات التفسير 75. الاسلام بين العلماء والحكام/ عبد العزيز البدري (تحقيق وتعليق وتقديم) 76. اوجز السير لخير البشر احمد بن فارس (تحقيق وتعليق وتقديم) 77. زبدة تأملاتي في تاريخ الفقه الاسلامي 78. مناقب الاعلام وتأملات في اعمالهم وآمالهم 79. حياة وآثار ستة علماء اقمار من عدة اقطار 80. نجوم المساء من تراجم النساء 81. في رحاب العلم والمعرفة 82. البداية في معرفة مصطلح الحديث وعلم الرواية 83. آداب الصحبة والاخوة ومعاشرة الخلق 84. الفتوى الشرعية في تحريم كتابة السور والايات القرآنية 85. عظمة الاخلاق والسلوك في معاملات السلف والخلف وحياة الملوك 86. خير المسالك في سيرة الإمام مالك 87. الرد على من خالف المعتمد في أن وقت الجمعة هو الظهر 88. الانوار في الادعية والاذكار 89. السيادة النبوية مشروعة بالكتاب والسنة واقوال الائمة 90. اقناع الامة بتحريم كتابة القرآن بالحروف اللاتينية 91. الوجيز المؤنس في تاريخ العلم والعلماء بتونس 92. الامام أبو الحسن علي النوري الصفاقسي 93. الاساس الواضح في النحو 94. صفحات فقهية في فضل العيد واحكام الاضحية 95. دليل مناسك الحج والعمرة 96. الادعية النورية بالايات القرآنية للنوري (تحقيق) 97. ذكرى التأسيس لمركز التربية الإسلامية في باريس 98. العناية بحفظ هذه السور الستة من القرآن الكريم 99. اعتداء سافر على عربية القرآن وكتابته 100. تهذيب واختصار كتاب (المحفوظات / علي الطنطاوي) 101. العناية بحفظ متون العلوم الشرعية 102. فقه الطلاب لأداء العبادة دون ارتياب 103. عمدة البيان في معرفة فروض الاعيان للمرداسي/ (تحقيق) 104. النور المبين على المرشد المعين للكايفي/ (تحقيق) 105. المنهج القويم للتربية والتعليم 106. الحرمان الشريفان: (مقدسات ومعمار) 107. المعاني الحسان في تفسير القرآن (جزء عمّ/ عربي فرنسي) 108. جامع الابواب الستة لابن حجر/ (تحقيق) 109. الجواهر الكلامية من الحكم العطائية (انتقاء واختصار) 110. مصابيح البشر في تراجم علماء تونس من القرن (15هـ) .

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

التلازم بين المادي والروحي واثره الايجابي في حياة المسلم

تعالى الله عن الحاجة ، وتنزهه عن التمتع والتأدي ، إنما نحن فقط المحتاجون إلى شريعته وتعليماته لتصلح منا ما تفسده العواطف ولتقوى منا ما تضععه المخاوف فنواجه الحياة أشدأ مؤمنين لا تنوء بأعبائها كواهلنا ولا تنهار تحت ضرباته العنيفة عزائمنا نخوض معمعتها غير هيابين ولا وجلين سلاحنا المادي ما دعانا إليه ديننا الحنيف من اكتساب للعلم واستعمال للعقل وسلاحنا الروحي ما يطبعنا عليه الصوم والصلاة و فضائل الأعمال والأخلاق من عزيمة فولاذية لا تفل وقوة إيمانية لا تقهر.

هذه المجلة (جوهر الاسلام) منبر الحق وحقل الكلام الطيب

بقلم : الاستاذ محمد ابراهيم بخات (الرباط- المغرب)

ظهرت جوهر الاسلام للوجود في عالم الصحافة الإسلامية في صنف المجالات الحركية خدمة لهذا الدين ودعوة له وقد دلت باسمها وبرهنت بمواضيعها ودلت بصمودها وحققت باخلاصها من سمو الغايات التي تسعى لها ونبيل الاهداف التي خطت لها في ميدان «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن».

فكانت ولا زالت بحق منبر الحق وحقل الكلم الطيب معلما من معالم الطريق إلى الله وجوهرا كريما من جواهر الاسلام فهي اذن (جوهر الاسلام) لانها تهدف لابرار حقائق الاسلام وتدل على فصائل الاسلام. ولذلك فهي فريدة من نوعها لان غايتها تحقيق دوام الصلة التي تربط بين المسلمين في عالم اليوم عن طريق الكفران بكل طاغوت كيفما كان نوعه والايمان بالله الواحد على الدوام بمبدأ القرآن ودعوته الخالدة «لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

وهي نظرا لجسامة الغايات التي تعمل لها في عصر التنكر للاسلام الذي اصبح كاليثيم بين اهاليه، ولأهمية الاهداف التي تقصد لتحقيقها لصالح المؤمنين بهذا الدين بواسطة القولة الرشيدة والكلمة الحكيمة والحجة السديدة التي تقضي على كل شبهة. ان مجلة (جوهر الاسلام) مهمة ونفيسة فهي مهمة لكونها تدافع عن هذا الاسلام بايمان ويقين وهي نفيسة لأنها تدعو لمقصد اسمى وهو أن يكون انسان الاسلام في هذا القرن الرابع بهذا الدين: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»

والحقيقة التي تفرض نفسها أن صاحب المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي قد ابان واجاد عن منهج المجلة في اول افتتاحية لها من عددها الأول حيث قال:
(باسمك اللهم نبتدئ هذا العمل العظيم الذي اردناه خالصا لوجهك لا نبتغي من ورائه جزاء ولا شكورا، ومنك نستمد العون والتوفيق. ونستلهم الرشد إلى اقوم طريق، حتى نضطلع باعباء مسؤوليتنا الجسيمة في مصابرة واحتساب وحتى نسهم بمجهودنا المتواضع في شرف الدعوة إلى الحق. والجهاد من اجل المثل اذ لعلنا بذلك نندرج ضمن اولئك الذين قلت فيهم «ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال: انني من المسلمين».

واننا لموقنون بان الدعوة إلى الله في عصر اختلفت فيه السبل وتشعبت فيه المسالك. ووطغت الاعتبارات المادية على كل ما سواها، لا يمكن أن تثمر إلا متى ارجعت إلى اصلها الذي منه انطلقت وعليه ارتكزت. فخليق بها إذا أن لا تستند إلا على عمادها الحقيقي

الذي هو الايمان الصامد والثقة الوطيدة والاسلوب الواضح الرصين. وجدير بها أن لا تستهدف إلا غايتها الوحيدة التي هي نصره الحق بالحق ورد مفتريات المرجفين ودعاوي المبطلين حتى تنفتح البصائر وتستيقظ الضمائر لتسمو إلى ادراك الجوهر الاسلامي النقي لأنه الفطرة السليمة والمحجة البيضاء الواضحة فلا يكلف الداعين اليه شيء سوى ازالة الحجب عن حقائقه واسراره لترى العيون محياه الصبيح من غير نقاب ثم ليقولوا بعد ذلك إن شاءوا «ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل»

وهكذا نشهد له بكل تقدير منه لمسؤولية الدعوة، وبكل شوق لحركة العمل، وبكل تأكيد على جسامه الدور الذي ينتظر اليوم من علماء الاسلام، وبكل وثوق من تاييد الله وحب العمل في سبيله من اجل دينه، وبكل ايمان بضرورة العودة الصادقة لهذا الاسلام:

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

بهذا الايمان الصادق بدين الله، واخلاص العمل لدعوته في هذا العصر، وصدق القيام بواجب (الدين النصيحة) بالكلمة الطيبة على صفحات هذه المجلة هي التي اهابت بصاحب المجلة الشيخ الحبيب لهذا القول الفصل (... والواقع الذي لا محيص عنه أن ما لم يزل فيه المسلمون من انحطاط وتقهر رزحوا تحت كلكهما لقرون لا يمكن أن يعزى لشيء سوى أنهم تنكبوا جادة الدين وزاغوا عن القصد واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير، لأن هذا الدين في مبناه ومعناه وفي جوهره وعرضه، حقق المعجزة بالامس في امة توغلت في الجهالة وامعنت في الشقاق واختلت عندها موازين القيم. فكيف لا يحققها اليوم في عالم تقدمت به وسائله العلمية والمادية حتى اصبح يشكو من جراء ذلك ذبذبة وحيرة وفراغا روحيا مهولا، انه لبلمس لكل داء عضال، وشفاء لكل علة حرون: اذ هو الجديد المتجدد والينبوع المتفجر والمتصف بالشمول والمرونة يهضم كل فن ويسع كل حضارة ويتفاعل مع كل علم ويسبق العقل البشري في مدارات تجنيحه وطيرانه، واننا اذ نلج باب الدعوة لتعتمل في صدورنا كل هذه المعاني وتحمل من اهتمامنا اسمى اعتبار ونحن مقدرين لجميل الظروف التي تحف بنا ومقدرون أيضا للعقبات وللعراقيل التي قد تواجهنا سافرة أو مقنعة ولكننا موقنون سلفا بالتغلب على جميعها بعون الله وتوفيقه...) لقد قلت ما قلت واستشهدت بما اوردت من باب التقدير لأهل الحق الذي تمثله وتسعى له مجلة (جوهر الاسلام) ومن باب التحية لهذه المجلة ولكتابها المتطوعين وجنودها المجهولين. ومن باب (وإما بنعمة ربك فحدث) فالتزامي بالكتابة المتواضعة على صفحاتها منذ أربع سنوات لهو عمل يشرفني ويرضييني لانه دعوة لله ونعمة منه احتسبها عنده، وكيف لا يكون نعمة، وهو من ابواب الجهاد في سبيل الله وبالتحديد جهاد باللسان بموجب امر رسول الله (جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم) وكيف لا

يكون نعمة وهو فرصة للتناصح والتبليغ ولو بين اثنين ولو لواحد على ضوء قول رسول الله (لان يهدي الله على يديك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه شمس وغربت).

شهادة لا اخفيها وحجة ادلي بها وهي ليست مدحا لنفسي ولا تنويها بها ولا دعاية لها ولا تعريفا بها ولا اشارة اليها. وكيف افعل وانا الفقير إلى الله الغني بالله؟ وإنما اقولها شكرا لله وشكرا لصاحب المجلة ومن باب (واما بنعمة ربك فحدث) .

الشهادة هي على شكل لمحة: فقد كنت اكتب ولا اتجرأ على نشر ما أكتب متذرا بأسباب منها: الكتاب كثيرون والمؤلفون عديدون فماذا اضيف وماذا ازيد؟ فهل سأتي بالجديد وبشرط أن يكون من المفيد؟ ومن انا حتى ادلي بما عندي؟ وكان قد استحوذ علي خاطر وهو حاجة المسلمين إلى العمل الاكثر لا التاليف الاكثر اي الاكتفاء بالحركة والاستغناء عن الحرف خصوصا في هذا العصر، ولكن فكرت وقدرت وعدت للتفكير في انتشار الكتابة الفاسدة وتأثيرها على الناس من القراء فتحولهم للشر فقلت في نفسي: هذا الاحجام عن الكتابة أو التخصيص فيها افساح المجال لأهل الباطل ونحن احوج ما نكون إلى الدعوة إلى الله بكل الوسائل ومنها وسيلة القلم فقرراري على الزيادة فيما كنت اكتب والتحسين فيه حتى تحين مناسبة النشر له.

وجاءت المناسبة وهي رد على رسالة كنت بعثت بها إلى سيادة مدير مجلة (الجوهر) فكان بردا وسلاما علي وكان مناديا لي ومشجعا على دخول ميدان الجهاد باللسان، وهذا بعض مما ورد في الرد المقدر المشكور (...ان الاسلام الذي لا يزال يمتلك ابناء مخلصين ومؤمنين صادقين...سوف يقفز قفزته العملاقة لا محالة وسوف يجتث الطواغيت التي وقفت امامه اليوم مثلما اجتثها بالامس في فجر دعوته المباركة، هذا وان اسرة مجلة (جوهر الاسلام) لا تقنع من المؤمنين بمجرد الاشتراك أو الاكبار والاطراء بل هي ترغب صادقة أن تنضموا إلى اسرتها انضماما فعليا بالكتابة والمراسلة وبالدعوة اليها وتحريك همم أصحاب المواهب للكتابة فيها حتى تصل إلى ما نؤمله لها من مستقبل زاهر مشرف وتكون بحق الملتقى الروحي والعقلي بين رجالات الاسلام وابنائهم الصادقين الصامدين...) وفي ختام هذه الكلمة عن هذه المجلة اقول من اعماقي، والامل يغمرني، والتفاؤل يحدوني: يا رب تقبل من كتاب الجوهر واهد قراء الجوهر وثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أمين يا رحمان والحمد لك في كل آن
محمد ابراهيم بخات (الرباط المغرب)

تاريخ العائلة الحملاوية الجهادية والعلمي

بقلم: الاستاذ بلقاسم أيت جمو - الجزائر

تعتبر الزاوية الحملاوية من كبرى الزوايا التاريخية في الجزائر، كما تعتبر الأسرة الحملاوية من الأسر الدينية العريقة، إذ عُرف العديد من رجالها منذ تاريخ بعيد بالدين والصلاح والعلم والفضل، ويرتفع نسبها إلى الأدارسة الحسنيين من آل النبي صلى الله عليه وسلم. قدمت هذه الأسرة من مدينة تازة المغربية، وحطت رحالها في المكان المعروف «بوفولة» بدائرة شلفوم العيد حاليا بنواحي قسنطينة، وكان ذلك في القرن التاسع الهجري منتصف القرن الخامس عشر ميلادي. وشيّدت الأسرة في بوفولة زاوية لتعليم القرآن وعلوم الشريعة، وبرز منها رجال كانوا من أعيان تلك المنطقة خلال العهد التركي، كما عُرفت بمساهمتها المتواصلة في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

وتزعم الجهاد أعيانها مثل الشيخ محمد الشريف بن الحملاوي، الذي كان تحت قيادته خمس قبائل في أواخر العهد التركي، واستشهد في المعارك الأولى التي سبقت الاستيلاء على قسنطينة عام 1837.

وكان منهم الأغا أحمد بن الحاج محمد بن الحملاوي الذي كان مستشارا لأحمد باي خلال ولايته الثانية سنة 1832، حيث عينه على رأس الجيش، وكان من المدافعين عن قسنطينة في الحملتين الفرنسيتين لاحتلالها، وبعد احتلالها بقي على اتصال بالأمير عبد القادر بواسطة جمعية سرية تمتد الأمير بالمعلومات والأموال إلى أن ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض ونفته إلى جزيرة سانت مارغريت سنة 1842، وحكمت عليه بالأشغال الشاقة، ثم نُفي إلى تونس وعاد إلى بلده سنة 1845. واستمرت العائلة في رسالتها العلمية والتربوية إلى أن برز من أبنائها مؤسس الزاوية الحملاوية الشيخ علي الحملاوي، الذي تعلم في صباه القرآن والعلوم الشرعية، ثم انخرط في الطريقة الرحمانية على يد السيد خليفة أحد مقدمي شيخ زاوية طولقة علي بن عمر خليفة الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ثم التحق بالزاوية الرحمانية بصدوق نواحي أقبو؛ حيث تتلمذ على شيخها العارف المجاهد إمام الطريقة محمد أمزيان بن علي الحداد، ووصل سلوكه الروحي عنده حتى أصبح من المقدمين فيها. ولما دعا الشيخ الحداد إلى الثورة في أفريل 1871 كان الشيخ علي بن الحملاوي في مقدمة من لبى داعي الجهاد، وبانتهاء الثورة بالقمع العنيف من قبل فرنسا نفي الشيخ علي إلى جزيرة كاليدونيا لمدة أربع سنوات، ثم أعيد بعدها إلى الوطن ليُرَجَّح به في سجن تبسة مدة ثلاث سنوات، ثم أُطلق لیسجن مرة أخرى بقسنطينة، وأخيرا أُطلق سراحه، فسارع بتنفيذ ما أمره شيخه الحداد، الذي كتب في وصيته أن خليفته هو الحاج علي بن الحملاوي ابن خليفة، وأكد عليه القيام بتعليم القرآن والعلوم الشرعية؛ لأنه هو الكفيل بإحياء الجهاد ضد المستعمر في الوقت الذي يريده الله تعالى. وكرس حياته لنشر القرآن والعلم والتربية الروحية الرحمانية، فكان مربيا ناجحا للكثير من العارفين والصالحين، وتخرّج من زاويته عدد كبير من العلماء والصلحاء وحَمَلَة القرآن. كان من عشاق المعارف الإلهية حتى إنه نسخ بيده كتابا كبيرا في أعلى الأذواق العرفانية من تأليف الشيخ علي الجمل العمراني الفاسي «ت: 1239»، أستاذ محيي الطريقة الشاذلية في وقته

شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي «ت: 1239»، وعنوانه: «البواقيت الحسان في تصرف معاني الإنسان»، وفي عهده أصبح لزوايته إشعاع كبير في كل الشرق الجزائري وفي تونس ونشأت لها فروع، وكان له أتباع في طرابلس والقاهرة وجدة. وقد ذكرت الإحصائيات التي جرت في عام 1897م، أنه كان له 44 زاوية و227 مقدا و352 شاوشا، وأن عدد أتباعه يفوق 44 ألفا، وهكذا قضى عمره في خدمة الإسلام والقرآن والعلم والتربية إلى أن توفي سنة 1317هـ، فتولى شؤون الزاوية بعده ابنه الأكبر الشيخ الحفناوي، فواصل رسالة والده نحو العالمين والتحق بأسلافه، ثم انتقلت المشيخة إلى أخيه أحمد، الذي بقي على رأسها مدة 12 سنة، مجتهدا في مواصلة الدعوة إلى الله ونشر القرآن والعلم وأوراد الطريقة إلى أن توفاه الله تعالى، فتولى المشيخة أخوه عبد الرحمان الذي عرفت الزاوية في عهده تطورا كبيرا، كما زادت الطريقة على يده إشعاعا متزايدا وقيضا واسعا، بالإضافة إلى تطوير برنامج التعليم ومناهجه؛ حيث كانت تدرّس في الزاوية كل العلوم التي تدرّس في جامع الزيتونة.

استقدم الشيخ سيدي عبد الرحمن أساتذة أكفاء من شيوخ جامع الزيتونة ومن شيوخ بعض كبرى زوايا الجزائر، وقد بلغ عدد الطلبة الداخليين المقيمين في عهده نحو 600 طالب، كان منهم من واصل تعليمه بتونس وفي الجامع الأزهر بمصر وغيره، وبعد حياة حافلة بالعمل الصالح وخدمة الإسلام توفي الشيخ عبد الرحمن سنة 1942 وعمره 67 سنة، وبعده تولى شؤون الزاوية ابنه الشيخ عمر المتخرج من جامع الزيتونة، وقد ترجم له العلامة الشيخ بلهاشمي بن بكار مفتي معسكر رحمة الله، فقال عنه في كتابه «مجموع النسب والحساب»: «وفي عهده وبسعي منه مع أهل الخير، تم فتح المعهد الكتاني في قسنطينة، ليكون فرعا مكملا للتعليم في الزاوية الحملاوية ويقوم بدور عظيم في نشر الثقافة العربية الإسلامية». وبمناسبة افتتاح المعهد الكتاني أقيم حفل بهيج أشرف عليه أحد الشيوخ الذين درسوا بالزاوية الحملاوية، وهو الأستاذ البشير بن صافية، وبالفعل فقد تخرّج من الزاوية الحملاوية والمعهد الكتاني نخب من الإطارات في كل المجالات العلمية والتربوية والإدارية والسياسية، احتلت مناصب سامية في الدولة الجزائرية المستقلة، فمن الطلبة الذين تلقوا بها دراستهم الأولى نذكر مثلا عبد المجيد شافعي، العربي سعدوني، وتركي رابح، وسليمان بشتون ومحمد بوخروبة المعروف بهواري بومدين الرئيس الجزائري الراحل، ومن الشيوخ الذين علموا بها العلامة الفلكي الشهير المولود الحافظي الأزهري، والعلامة عبد الحفيظ بن الهاشمي، والعلامة الشاعر عاشور الخنقي والفقير الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، ومن علماء تونس الشيخ قرييع والبشير صافية رحمهم الله. وبلغ عدد الطلبة في عهد الشيخ عمر، حسب بعض الإحصائيات، نحو 1000 طالب، وهؤلاء الطلبة كانوا في طليعة المجاهدين في ثورة نوفمبر المباركة، وفي سنة 1955 التحق الطلبة بإخوانهم المجاهدين، وتحولت الزاوية إلى مركز يأوي جنود الثورة ويزودهم بالغذاء والأدوية والألبسة والسلاح، يشهد بهذا واحد من قديماء المجاهدين المشهورين، وهو الأستاذ عمار النجار من ضباط الولاية الثانية، في مقال نشر بجريدة النصر يوم 12/ 12/ 1989م. وكان من بين هؤلاء الطلبة العقيد علي كافي أحد رؤساء الولاية الثانية، وبالفعل أغلق الاستعمار الزاوية، وفرض على الشيخ عمر الإقامة الجبرية المضيق المحاصرة بقسنطينة حتى الاستقلال، وإثر الاستقلال فتح الشيخ

عمر من جديد الزاوية ليواصل رسالته في العلم والتربية والإصلاح إلى أن توفى سنة 1966م، فتولى المشيخة أخوه سيدي عبد المجيد، رحمه الله، الذي كان له من العمر أربع سنوات لما توفى والده سيدي عبد الرحمن عام 1942م.

* وقد وُلد الشيخ عبد المجيد بن عبد الرحمن حملاوي، رحمه الله، بالزاوية الحملاوية في 13 جوان 1938م، توفى والده وهو في الرابعة من العمر، حفظ القرآن الكريم في طفولته بالزاوية، ثم التحق بجامع القرويين بفاس بالمغرب؛ حيث درس علوم الحديث، ليلتحق بعدها بجامع الزيتونة بتونس. قطع دراسته بدافع الوطنية والتحق بصفوف جيش التحرير سنة 1957م وشارك في ثورة التحرير، وتابع تكوينه بمدرسة الإطارات العسكرية التي كانت بالحدود التونسية، لينخرط في صفوف الجيش الوطني الشعبي، فكان في المدفعية، ثم المحافظة السياسية، ثم القطاع العسكري إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة 1992م برتبة ضابط سام، وتخرج على يده الكثير من الضباط والقيادات في الجيش. كما شارك، «رحمه الله»، في تحرير قناة السويس ضد الصهاينة سنة 1967/ 1968م وتحصل خلال مشواره العملي في صفوف الجيش الوطني الشعبي، على عدة أوسمة وشهادات تقدير.

وبعد تقاعده انصب اهتمامه بالزاوية التي تولى خلالها سنة 1967م، فرمها من جديد وبعث فيها روح القرآن الكريم والعلوم الشرعية واللغة العربية. وأدخل على الزاوية تحسينات عدة في مرافقها وهياً ظروف إقامة الطلبة والزوار، وكان يستقبل يوميا وفودا من فئات الشعب لإصلاح ذات البين، ويستقبل الطلبة الجامعيين ويساعدهم في بحوثهم بتوفير أهم المراجع الأدبية والتاريخية النادرة التي تحتويها مكتبة الزاوية، حيث زوّدها بمئات العناوين النادرة.

ولقد كان، رحمه الله، من السبّاق في عقد أول ملتقى على مستوى الوطن يتناول شخصية الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه بمقر الزاوية الحملاوية 1995/ 1996م، كما عقد عدة ملتقيات وندوات وأيام دراسية بالزاوية لمذهب إمام المدينة المنورة، أصدر مجلة بعنوان بأنوار صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم، وهي الآن في عددها الثامن.

وبصدر رحب استقبل 30 طالبا وفدوا من دولة بوركينافاسو، حيث تكفل بهم كفالة تامة وأتموا حفظ القرآن ومبادئ الشريعة واللغة.

كان الشيخ رحمه الله - يهتم كثيرا بمجريات الأحداث، وكان أول من ندّد بالإرهاب في الجرائد، وكان شغله الشاغل الوطن والقرآن والجيل الصاعد، فكان حقا خدوما للقرآن والشريعة، خادما لوطنه الحبيب منذ شبابه.

وقد أثبتت الإحصائيات أنه منذ سنة 1992 إلى 2008م مر بالزاوية آلاف الطلبة، منهم 1900 طالب تخرّجوا حافظين لكتاب الله.

ومهما تكلمنا عن مآثر ومناقب الشيخ، رحمه الله، فلن نوفيّه حقه، وما قدمناه كان على سبيل المثال لا الحصر.

توفى الشيخ عبد المجيد رحمه الله في 09 نوفمبر 2009م،

رحم الله شيخنا وأسكنه الجنات العلى، وجزاءه عن القرآن والوطن والأمة خير الجزائر.

خطبة العدد: في الاخذ بأسباب الوقاية من الأوبئة عين التوكل على الله

الحمد لله فارح الهمم وكاشف الغم، صارف البلاء، اللطيف فيما جرت به المقادير وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من هدى وارشد ونبه وحذر وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيفا صلى الله عليه وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار ما تعاقب الليل والنهار صلاة ترضى به عنا .

أما بعد ايها المسلمون فها نحن نعود إلى بيوت الله بعد اسابيع عديدة ظلت فيها مهجورة هجرة قسرية فرضتها علينا هذه الجائحة المسماة كورونا حيث الزمتنا بيوتنا ومنعتنا من أن نؤدي صلاة الجمعة والجماعة ونحي لياالي شهر رمضان بصلاة القيام فكان وقع ذلك شديدا على انفسنا .

ولكننا والحمد لله لم نعدم الأجر والثواب بما في هدي هذا الدين الحنيف الذي جعل الله فيه الأرض مسجدا وطهورا وامرنا من جاءنا به من عند الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بان لا نجعل بيوتنا قبورا . فعوضنا ارتياد المساجد التي هي افضل البيوت وهي بيوت الله في الأرض بان نجتمع مع اسرنا وعائلاتنا على تلاوة القرآن والقيام به طيلة لياالي شهر رمضان فكان ذلك نعم العوض والحمد لله على ذلك .

احمدوا الله عباد الله على أن لم يجعل الله لكم في دين الاسلام حرجا حيث قال جل من قائل (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وأمرنا جل وعلا أن ندعوه فنقول كما جاء في آخر سورة البقرة (ربنا ولا تحمل علينا اصرنا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وفصل هدي نبينا عليه الصلاة والسلام ذلك في أحاديث عديدة تشفي الغليل وتنزل على قلوب المؤمنين بردا وسلاما . فقد قال عليه الصلاة والسلام (لا ضرر ولا ضرار) وقال (ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) وقال (أن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق) وامر صاحبيه الذين ارسلهما إلى اليمن بالتيسير فقال (يسرا ولا تعسرا) .

أمرنا الله تبارك وتعالى بان لا نلقي بايدينا إلى التهلكة وان ناخذ بالاسباب واعتبر ذلك لا يتعارض مع التوكل على الله فقال لنا عليه الصلاة والسلام (ان الله خلق الداء وخلق الدواء فتداووا يا عباد الله) فالحفاظ على الابدان إحدى الكليات الخمس التي انبنى عليها الاسلام .

ومن اجل الحفاظ على سلامة ابداننا واجسامنا خفف الله علينا ويسر علينا في الطهارة فانزلها من الطهارة الفعلية بالماء إلى الطهارة الحكيمة بالتيمم بالصعيد الطاهر وخفف علينا اقامة الصلاة كاملة إلى ادائها بالكيفية التي نطيقها ونتحملها رأفة ورحمة

بنا وجعل النية هي اساس كل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) وقال (ويبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله) .

وجعل الله ما جرينا على القيام به كاملا غير منقوص مستوفيا للشروط في اوقات عافيتنا وسلامتنا وامتسح اوقاتنا ومقتبل اعمارنا ثم حالت ظروف مانعة دون القيام به يكتبه الله لنا كاملا عندما تمنعنا من القيام به موانع خارجة عن نطاقنا فالحمد لله على فضله وعضوه وكرمه واحسانه .

هذا والحمد لله ولما اخذنا بالاسباب والتي منها الوقاية، والوقاية خير من العلاج واهتدينا بما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخذ بما سُمي في هذا الزمان بالحجر الصحي حيث قال (لا يورد مصحح على ممرض) وهذا في ورود الابل للسقي فما بالك إذا ما تعلق الامر بصحة وسلامة الانسان اكرم خلق الله، ونهى عليه الصلاة والسلام عن الورد إلى المواطن التي فيها وباء أو الخروج من المواطن التي فيها وباء محاصرة للأمراض ومنعاً للعدوى.

اخذنا والحمد لله بالاسباب والتزمنا بها واخذنا بسبب اخر لا ينبغي على المؤمنين أن يغفلوا عنه ألا وهو الانتجاع إلى الله مجيب الدعاء وصارف البلاء الذي يقول للشئ (كن فيكون) ولا يعجزه امر وهو على كل شيء قدير فالتجأنا اليه وتوجهنا اليه سبحانه وتعالى بان يلطف بنا فيما جرت به المقادير .

لم نسأله ردّ القضاء ولكن سألناه اللطف فيه فلطف بنا ولم يؤاخذنا بما فعلنا، ولم يؤاخذنا عن غفلتنا ولم يؤاخذنا بما بارزناه به من معاص وذنوب فجعل ما حل بنا والحمد لله خفيفا فكانت الاصابات قليلة وكان من التحقوا ببارئهم عليهم من الله واسع الرحمات عددهم محدودا ولولا الطاف الله التي حفصت باهل هذه البلاد ثم بعد ذلك لولا اخذنا بالاسباب من وقاية ونظافة وحجر صحي وتباعد اجتماعي لكانت الاصابات أكثر بكثير فالحمد لله أولا وآخرا .

فلا بد عباد الله المسلمين ونحن نعود تدريجيا إلى الوضع الطبيعي لأداء صلاة الجمعة والجماعة من التقيّد بكل ما جاء في البروتوكول الصحي في التباعد وفي الاتيان من البيوت إلى المساجد وقد تطهرنا آخذين معنا سجّاداتنا مستعملين كما ماتنا منصرفين على اثر ادائنا للصلاة مجتنبين للتلاصق والقرب للتصافح بالايدي أو استعمال المصحف أو المسبحة .

فان الله تبارك وتعالى يرضى منا أن نذكره بالسنتنا دون استعمال السبحة وان نتلو مما نحفظه من كتاب الله ولو كان آيات قليلة وسورا قصيرة وهي ذات اجر عظيم ومنها على سبيل الذكر سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرآن والمعوذتين، كل ذلك إلى حين تتفرج عنا هذه الغمة .

ولا بد لنا من التقيّد بهذا البروتوكول الصحي الذي فيه سلامتنا وعافيتنا جميعا والذي لا قدر الله ان نحن استهنا به تقع الانتكاسة ويعود هذا الوباء إلى الانتشار بسبب اهمالنا وعدم اكرثا فلنحذر عباد الله من ذلك ولنستجب جميعا لما يحينا .

اقول قولِي هذا واستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم انه هو الغفور الرحيم .
* الحمد لله بدءا وعودة حمدا يسح علينا من سحائب جوده وابل الجودة والحمد لله الذي عافانا بعد أن ابتلانا والحمد لله الذي انزل علينا صبورا وثبتنا ونساله تبارك وتعالى أن يكفر عنا بما ابتلانا به ما اقترفناه من الذنوب والخطايا ونشكره على أن لم يجعلنا من الغافلين .

فيا رب ها نحن نقصدك وانت الكريم وندعوك وانت العظيم ونرجو رحمتك وانت رب العالمين ونناديك وانت الرحمان الرحيم فارحم يا ربنا عبادا ينادونك ليس لهم سواك اللهم اخرجنا يا رب مما نحن فيه من الهم والحزن والكرب فانت الله الذي لا تردّ سائلا وانت الله القادر على تغيير الحال باحسن حال وانت الله الذي اذ دعني اجاب يا من يقول للشئء كن فيكون نسألك أن ترحم العباد والبلاد وان تلتطف بنا فيما جرت به المقادير وان ترحمنا رحمة واسعة وان ترزقنا عافية الابدان ونور الابصار يا كريم يا رحيم ويا عليم ويا رب العرش العظيم . يا قاضي الحاجات يا كاشف الكربات يا مجيب الدعوات يا غافر الزلات نعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيء الاسقام ونعوذ بك من الهم ومن زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتهك وجميع سخطك .

ونسألك أن تتغمد برحمتك ورضوانك فقيد الامة الإسلامية الشيخ صالح كامل وان تجزيه الجزاء الحسن على ما بذل وانفق وعلى ما أحسن وتصدق وما خدم به الامة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها والتي منها هذا المركب المتكامل المشتمل على المسجد والمكتبة والمستوصف والمدرسة، اللهم اكتب كل ذلك في صحائف حسناته وادخله فسيح جناتك بجوار النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واخلفه في اهله وولده احسن خلافة واجعلهم من بعده ذرية صالحة مصلحة برحمتك يا ارحم الراحمين وارحم والدينا وسائر موتى المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

عباد الله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظم لعلكم تذكرون اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم .

* خطبة جمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بالمركب الاسلامي البحيرة - تونس

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
(يسألونك قل ...)

قبول توبة التائب من الذنوب

بقلم: الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه الله

السؤال: يقول السائل الكريم انني كنت اصلي ثم انقطعت عن الصلاة ثم عدت اليها مرة أخرى وأنا مقر العزم على أن أتوب توبة صادقة لكن يا سيدي الشيخ بسبب ظروف الحياة ومشاكلها انقطعت عن الصلاة فوقع اضطراب في مجرى حياتي الدينية فالمطلوب منك ان تبين لي هل يغفر الله لي ذنوبي التي ارتكبتها وهل تقبل توبتي؟ مع العلم انني عزمتم على توبة نهائية صادقة. هل هناك ادعية يغفر الله بها ذنوبي التي ارتكبتها؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم انه ليس أحد من خلق الله بوابا على باب التوبة لله وغفران الذنوب، فالله وحده هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وعليه فهدأ من روعك وليسكن اضطرابك فالله سبحانه وتعالى قد ضمن قبول توبة عبده إن صدقت نيته حيث قال في كتابه الكريم (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) الاية 17 من سورة النساء المعنى والله اعلم ان توبة العبد من الذنوب مقبولة عند الله ان صدقت نيته وكان ارتكب الذنوب عن جهالة وسفه ولم يكن ارتكبتها مستحلا لها ثم اقلع عن ارتكاب الذنوب وتاب منها قبل مفاجأة الموت فان الله تعالى يقبل توبته ان شاء الله كما ورد النص عليه في الاية الكريمة الانفة الذكر وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) اي يحضره الموت الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم (كل ابن آدم خطاء اي كثير الخطايا والذنوب- وخير الخطائين التوابون) رواه ابن ماجة والترمذي والحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم) اي أفناكم وأماتكم- (ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم) رواه مسلم في صحيحه وغيره وعليه ايها السائل الكريم فطب نفسا وقر عينا فان توبتك مقبولة ان شاء الله ان صدقت نيته وندمت ندامة قلبية حارقة فباب التوبة مفتوح واقض الصلوات التي تركتها في ايام محنتك عسى الله ان يعفو عنك ويصفح فانه عفو كريم.

والادعية التي تقرب الى الله تعالى وتكون سببا في غفران الذنوب ادعية وأذكار كثيرة نرجو الله ان يلهمنا اياها ويوفقنا الى القيام بها أثناء الليل وأطراف النهار انه سميع مجيب وهي كما يلي: فعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم عشر مرات كان كمن اعتق أربع انفس من ولد اسماعيل) اي من ذرية اسماعيل العرب المستعربة اي في الثواب والأجر الحديث رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) رواه البخاري ومسلم فأكثر يا أخي من ذكرها تنفعك ان شاء الله.

الدكتور احمد الطيب شيخ الأزهر يقول لوزير الخارجية الفرنسي: «أنا لا أقبل ان يتهم الاسلام بالارهاب»

إذا كنتم تعتبرون ان الإساءة لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- حرية تعبير، - فنحن نرفضها شكلاً ومضموناً.

-الإساءة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مرفوضة تماماً، وسوف نتتبع من يُسئ لنبينا الأكرم في المحاكم الدولية، حتى لو قضينا عمرنا كله نفعل ذلك الأمر فقط.

-أوروبا مدينة لنبينا محمد ولديننا لما أدخله هذا الدين من نور للبشرية جمعاء.
-نرفض وصف الإرهاب بالإسلامي، وليس لدينا وقت ولا رفاهية الدخول في مصطلحات لا شأن لنا بها، وعلى الجميع وقف هذا المصطلح فوراً؛ لأنه يجرح مشاعر المسلمين في العالم، وهو مصطلح يناه في الحقيقة التي يعلمها الجميع.
-حديثي بعيد عن الدبلوماسية حينما يأتي الحديث عن الإسلام ونبيه، صلوات الله وسلامه عليه.

- تصريح وزير الخارجية الفرنسي في غضون الأزمة كان محل احترام وتقدير منا، وكان بمثابة صوت العقل والحكمة الذي نشجعه.

-المسلمون حول العالم (حكاماً ومحكومين) رافضون للإرهاب الذي يتصرف باسم الدين، ويؤكدون على براءة الإسلام ونبيه من أي إرهاب.

-الأزهر يمثل صوت ما يقرب من ملياري مسلم، وقلت إن الإرهابيين لا يمثلوننا، ولسنا مسؤولين عن أفعالهم، وأعلنت ذلك في المحافل الدولية كافة، في باريس ولندن وجنيف والولايات المتحدة وروما ودول آسيا وفي كل مكان، وحينما نقول ذلك لا نقوله اعتذاراً، فالإسلام لا يحتاج إلى اعتذارات.

-وودنا أن يكون المسؤولون في أوروبا على وعي بأن ما يحدث لا يمثل الإسلام والمسلمين؛ خاصة أن من يدفع ثمن هذا الإرهاب هم المسلمون أكثر من غيرهم.

-أنا أول المحتجين على حرية التعبير إذا ما أساءت هذه الحرية لأي دين من الأديان وليس الإسلام فقط.

-أنا وهذه العمامة الأزهرية حملنا الورود في ساحة باتاكلان وأعلننا رفضنا لأي إرهاب.

-إن التجاوزات موجودة عند أتباع كل دين وفي شتى الأنظمة، فإذا قلنا إن المسيحية ليست مسؤولة عن حادث نيوزيلندا؛ فيجب أن نقول أيضاً إن الإسلام غير مسؤول عن إرهاب من يقاتلون باسمه، أنا لا أقبل أبداً أن يتهم الإسلام بالإرهاب.

-نحن هنا في الأزهر قديماً وحديثاً نواجه الإرهاب فكراً وتعليماً، ووضعنا مقررات ومناهج جديدة تبين للجميع ان الإرهابيين مجرمون وأن الإسلام بريء من تصرفاتهم.